وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة المدية
كلية الأدب و العلوم واللغات
قسم الأدب العربي

الرواية السيرية "بلاد الصاد" لعبد الإله إبن عرفة أنموذجا

مذكرة ضمن متطلبات
نيل شهادة الماستر تخصص نقد حديث و معاصر

إعداد الطالب:
❖ ياسين كتابي

إشراف الأستاذ :
❖ شريفة مختيش

لجنة المناقشـــــــــة

1- د-	رئيســـــــا
2-د-	مشرفا ومقرر
3- د-	مناقشا

السنة الجامعة : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم



شكر وعرفان

قال الله تعالى: ((ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين **)) سورة النمل الآية 19.**

نحمد الله ونشكره الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع

الذي يمثل قطرة في بحور العلم والمعرفة

وعرفانا بالجميل نتقدم بوافر الشكر الجزيل إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة سواء

من قريب أو من بعيد وسواء بالكثير أو بالقليل ونخص بالشكر

الأستاذة المشرفة ** شريفة مختيش ** التي لم تبخل علينا بملاحظاتها ونصائحها

فكانت نعم المرشدة ونعم الموجة لنا.

والشكر موصول إلى كل معلم أفادنا بعلمه من أولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة.

كما نتوجه بخالص الشكر إلى كافة أساتذتنا الكرام بقسم أدب عربي تخصص نقد حديث بجامعة المدية على ما قدموه لنا طيلة فترة دراستنا.



الإهداء

قال الله تعالى: ((وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...)) سورة التوبة الآية 115.

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية

بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى.

إلى التي بحنانها ارتويت وبدفئها احتميت وبنورها اهتديت وببصرها اقتديت ولحقها ما وفيت

إلى من يشتهي اللسان نطقها وترفرف العين من وحشتها والتي كانت تتمنى رؤيتي وأنا أحقق هذا النجاح

وشاء الله أن يأتي هذا اليوم، أهدي هذا العمل إلى أمي.

إلى درعي الذي به احتميت وفي الحياة به اقتديت والذي شق لي بحر العلم والتعلم إلى من احترق ليضيء

لنا درب النجاح، ركيزة عمري وصدر أماني وكبريائي وكرامتي، أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى من يذكرهم القلب قبل أن يكتب القلم إلى من قاسموني حلوة الحياة ومرها

تحت السقف الواحد...إخوتي وأخواتي حفظهم الله.

إلى أحسن من عرفني بهم القدر إلى أصدقائي

إلى كل من لم يدركهم قلمي أقول لهم بعدتم ولم يبعد عن القلب حبكم.

إلى كل أعضاء المنظمة الوطنية للطلبة الجزائريين مكتب

فرع المدية

إلى بلدي الحبيب الجزائر إلى الشعب الفلسطيني الثائر

ياسين

المقدمة

المقدمة:

أخذت الكتابة النثرية من الشعر خلال السنوات الأخيرة مشعل الإبداع والتأليف، بعد مخاض عصيب في طور التكوين، باحثة عن وجودها وكينونتها، كفن قائم بذاته، ومبدعي الأدب بالسرديات الحديثة وأنواعها نحو: الرواية السيرية، والتي تعتبر فنا زئبقيا يصعب ضبطه وتطبيقه نتيجة تنوع أساليبه وتعدد أشكاله

تعد قضية تداخل رواية السيرة الذاتية مع الفنون الأدبية الأخرى من أهم القضايا التي فرضت وجودها في الساحة الأدبية، بل وأصبحت جدلية، يسلط عليها الضوء من قبل الأدباء والنقاد، وكما يمكن القول بأن مسألة التعالق والتداخل، جعلت بعض الدارسين يخلطون بين جنس الرواية والسيرة الذاتية، وباقي الأجناس الأدبية الأخرى نحو : المذكرات، اليوميات، الاعترافات ... لأنه في اعتقادهم أن كل فن أدبي يضم باقي الفنون الأدبية الأخرى

لم تكن السيرة في بداياتها ذائعة الصيت في الثقافة العربية لعدة أسباب كالخوف من الوقوع في مغبة النقد، والخوف من المحاسبة، وعندما امتزجت الرواية بالسيرة جمعت بين ما ماهو واقعي وبين ماهو متخيل في قالب فني جديد سمي بـ الرواية السيرية، والتي تجلت في الرواية العربية بصفة عامة، وفي الرواية المغاربية بصفة خاصة، إذ حاول الكتاب الروائيون المغاربة خوض غمار التجريب الروائي والانفتاح على تقنيات السرد السيري، بغية بناء رؤية جديدة ومواكبة لتطورات الرواية العربية والمغربية

وباعتبار الرواية السيرية فن مستحدث في الأدب العربي فقد لاقت رواجا بفضل شهرتها حيث لاقت اهتماما كبيرا من طرف أدباء العرب المحدثين، وذلك نتيجة المثاقفة واحتكاكهم بالغرب وتأثرهم بما يقدمه الأدباء الغربيون، ومن هذا المنطلق جاء عنوان مذكرتي " الرواية السيرية بلاد صاد لعبد الإله ابن عرفة أنموذجا "

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب ذاتية، وأخرى موضوعية.

أما الذاتية فتشمل مايلي:

- الرغبة في معرفة مدى حظ الرواية السيرية في الأدب المغاربي، وكذا الغوص في ثنايا هذه الرواية ومعرفة أثرها في خلق التفاعل بين الأدب والحياة، انطلاقا من ارتباط الخيال بالواقع المعاش الذي تنتمي إليه.

أما الموضوعية فتكمن في: تميز رواية " بلاد صاد " ببعض خصوصيات الرواية السيرية، وكذا السعي إلى الكشف عما يميز الرواية السيرية عن الرواية وعن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، وعليه يمكننا صياغة إشكالية مفادها:

- **أين تكمن التجربة الذاتية في رواية بلاد الصاد لعبد الإله ابن عرفة ؟**

وللإجابة على الإشكالية تم تقسيم هذا العمل إلى فصلين الأول في إطاره النظري و الفصل الثاني في جانبه التطبيقي إضافة إلى مقدمة وخاتمة و قائمة المصادر و المراجع.

تناولت في الفصل الأول دراسة عامة وشاملة حول الرواية السيرية متطرقا في مطالبها إلى النشأة والتطور وأهم العناصر الأساسية للرواية السيرية.

وكذا الفصل الثاني تمثل في الجانب التطبيقي حيث تطرقت فيه الحديث عن بلاد صاد ومحاولة معرفة مضامينها وعناصرها الأساسية وأهم شخصياتها.

أما المنهج المتبع، فقد اعتمدت المنهج الموضوعي و المنهج الفني الوصفي.

أما الخاتمة فتوصلنا فيها الى مجموعة من النتائج و الملاحظات في الجانب النظري و الجانب التطبيقي .

الفصل الأول:

دراسة شاملة عن الرواية السيرية

(السير ذاتية)

المبحث الأول: مفاهيم عامة الرواية، السيرة، السيرة الذاتية:

تعتبر الرواية من الأشكال النثرية التي أخذت حظها الوافر لدى جمهور عريض من القرآء لأنها تعبر آمال وآلام هؤلاء القراء لما فيها من تعبير حي عن الواقع وعن الهوية الثقافية للأمم، ولقد كثرت دلالاتها في المعاجم العربية ، وهذا ما سأحاول الوقوف عليه من خلال هذا المبحث

المطلب الأول: مفهوم الرواية:

1: لغة: جاء في لسان العرب لابن المنظور كلمة روى كالتالي: " روى الحديث، والشعر يرويه رواية وترواه "[1]، كما عرفها الجوهري بقوله: " رويت الحديث والشعر رواية، فأنا راو والشعر من قوم رواة، ورويته الشعر تروية أي جملته على روايته أو روايته أيضا، وتقول: أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها "[2].

ثم إن أساس البلاغة عند الزمخشري يقول:" رَوَى رْيَّانَ وهي رِوَّهم رواءَ، وقد روَى من الماء رياً رووْثَى وتَوَّى، روأَى إبله ورواها.[3]

ومن قولهم رواية للحديث، وروى الحديث: جملة من قولهم البعير يروى الماء أي يحمله، وحديث مروي، وهم رواة الأحاديث.

وروَوُهاَ: حاملوها كما يقال: رواة الماء. وروت القطاة فرانها صارت رواية لها.

---

[1]– أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم ابن المنظور، لسان العرب، ج3، صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 1997 ص151.

[2]– إسماعيل ابن أحمد الجوهري، تاج اللغة العربي الحديث، ج6، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1989، ص10

3_نفس المرجع،ص 10

وَرَوَي عليه الكذب كذب عليه، فلان لا يروَيَ عليه كذب، ورَيةُ الحديث: حملته على روايته"

ويقصد به: الشرب، ربط الإبل وعقله، الحكي، الكذب. [1]

وفي معجم الوسيط جاءتعريف الرواية على النحو التالي: " روَّ(ى) على البعير ريا: استقى. روَ(ى) من الماء ونحوويّاً، وروّى أي شرب وشبع.

رو(أْاَهُ): جعله يروي وفلاناً الحديث والشعر: حمله على روايته.

(لراَّوِي ر): اوِي الحديث أو الشّعر: حامله وناقله. (ج) رواة.

الـ(رّاوية): القصة الطويلة.(محدثة)[2].

يقصد به: الشرب ونقل الحديث، الحكي ونقل الحديث، القصة الطويلة

2: اصطلاحا:

على الرغم من صعوبة تعريف الرواية، لكونها جنسا أدبيا متغير المقومات والخصائص ولتداخلها مع أجناس أدبية أخرى، فإن ذلك لا يمنعنا من البحث عن مفهومها واستعراض بعض التعاريف التي أوردها الدارسون.

وقد يكون أبسط مفهوم للرواية عند ميخائيل باختين أنها: " فن نثري تخيلي – طويل – نسبيا– بالقياس إلى فن القصة القصيرة – مثلا– وهو فن بسبب طول– يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا وفي الرواية تكمن ثقافات

[1]– ابن قاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص397.

[2]– إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص384.

إنسانية وأدبية مختلفة، ذلك لأن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية أو غير أدبية "[1].

ويقول عنها الناقد الفرنسي سانت بيف بأنها: " حقل تجارب واسع، فيه مجال كل العبقرية وكل الطرق إنها جملة المستقبل وهي بكل تأكيد التي سيتحملها سائر الأفراد والجماعات منذ اليوم "[2] .

ويقول أديبنا الطاهر وطار بأن: " الرواية بالأصل فن لا نقول دخيل عن اللغة العربية وإنما فن جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنوه "[3].

ونجد من الدارسين من عرف الرواية بأنها: " تصور حياة متطورة ونامية ويشهد القارئ أهم اللحظات في حياة الشخص وهي تتطور أمامه على صفحات الكتاب "[4].

أما تعريفها عند (جورج لوكاتش) و(جيرار جينت) فعرفا الرواية بأنها: " نوعا أدبيا لا يمكن للقيم الأصلية فيه، وهي موضوع البحث دوما، أن تكون حاضرة في المبدع من خلال شخصيات واعية أو وقائع عينية "[5]، أو هي " جنس سردي نثري "[6].

---

[1]– أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997، ص27.

[2]– أحمد سيد محمد مالكوم براديري، الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1989، ص04

[3]– مفقودة صالح، نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية والإنسانية قسم الأدب العربي، ع2، 2002، ص05

[4]– حسين خمر، فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، ط1، 2002، ص226

[5]– لوسيا نغولدمان، مقدمات في سيسيولوجية الرواية، تر: بدر الدين عردوكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1993، ص20

[6]– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1997، ص15

كما عرفها أيضا (محمد معتصم)بأنها: " الرواية في مجملها ما هي إلا حكايات وأحداث يشد بعضها بأطراف بعض"[1]، أما (جورج صاند) فيقول: " الحياة تشبه الرواية أكثر مما تشبه الرواية الحياة، وبعيد عن الإيمان بصدق رواياتي، ولكني أستمتع بها كأنها أشيا حقيقية "[2].

إن ما يميز الرواية هو تكونها أساسا من النثر، إلا أن هذا النثر يمتلك تنوعا واتساعا لم تعرفهما مع الأنواع الأدبية الأخرى التي سادت لدى القدماء ... ففي الرواية نعثر على أجزاء تاريخية وأخرى حوارية ...إلخ ولكن هذه الأساليب تتداخل وتتشابك على نحو اصطناعي ماهر لتجعل من الرواية أحدث الأنواع الأدبية وأكثرها راهنية: فقد ركبت عضويا لتلائم الأشكال الجديدة الصامتة لتقبل العمل الأدبي (أي القراءة) واستحقت بذلك أن تكون النوع الوحيد الذي لا يزال في صيرورة إن عجز نظرية الأدب تجاه الرواية آت دون شك من الشكل غير المكتمل الذي تتخذه الرواية ومن تطورها المستمر الذي يجد معه الباحث النظري نفسه أمام تحديات متجددة ويكون مضطرا إلى أجزاء تغيير جذري على وسائله، ويعود هذا العجز في رأيه إلى أن المنظرين ظلوا يعتبرون الرواية ويصنفونها على أساس أنها نوع أدبي مكتمل ويحاولون تحديد اختلافها كنوع مكتمل عن غيرها من الأنواع المكتملة، كما أنهم حاولوا إبراز القوانين الداخلية للرواية التي تشكل نظاما محددا من العناصر الثابتة والمستمرة الخاصة بالنوع الأدب، ولكنهم وجدوا أنفسهم يقدمون على إحصاء ووصف مختلف الأشكال الروائية دون أن يتوصلوا إلى تحديد أية سمة ثابتة ومستقرة للرواية[3]

---

[1]– محمد معتصم، بنية السرد العربي (من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير)، العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص17

[2]– مصطفى الصاوي الجويني، في الأدب العالمي (القصة، الرواية، السيرة)، ج3، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص13

[3]– حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص10

يعرف (هيجل) الرواية على عهده بأنها ملحمة حديثة بورجوازية، تعبر عن الخلاف القائم بين القصيدة الغزلية ونشر العلاقات الاجتماعية، نلاحظ أن تعريف (هيجل) الذي يقدم الرواية على أنها ملحمة بورجوازية حديثة، يجاريه فيه النقد المجري (جورج لوكاتش) الذي تلفيه بعقد فصلا في كتابه، " نظرية الرواية " يقرن فيه بين الملحمة والرواية، ونحن في الحقيقة لا تعنينا التعريفات الفلسفية والإيديولوجية المتسلطة على الأدب كثيرا، وإنما الذي يعنينا كل العناية هو هذا القران بين جنسين أدبيين إن كانا في فجر التاريخ البشري متفقين بعض الاتفاق، ومع ذلك لا أرى وجها لهذه المقارنة ما دامت الرواية نشأت بعد أفول عهد الملاحم بقرون بعيدة، فإنهما الآن أبعد ما يكونان عن بعضهما.[1]

فالأولى أن الملحمة جنس أدبي لم يعد قائما إلا على أنه تراث أدبي إنساني، جنس كان بالأمس يقوم على تلميع البطل العظيم الخارق الخرافي الذي يستطيع بمفرده أن يوجه التاريخ ويؤثر في مساره جنس أدبي كان بالأمس ولم يعد اليوم أحد يمارس كتابته، لأن معطيات التاريخ والحضارة والسياسة والثقافة والفن والجمال، تغيرت أشكالها وجمالياتها رأسا على عقب.

والأخرى أن الخصائص التي كانت تجمع بين الرواية التاريخية وإليها يذهب تعرف هيجل ولوكاكس في أغلب الظن، والملحمة لم تعد قائمة حيث إن بنية الرواية تطورا مذهلا فاغتدت تدمر البطل الذي كانت الملحمة والرواية التاريخية تقدسانه تقديسا شديدا، وتجريان الحدث من حوله، بل تجعلانه هو الذي يتحكم في الحدث، وتفجران الصراع أجله وعوضته بالشخصية: وأمست تعول أساسا، على اللغة واللعب بها والتصرف في نسجها، وإقامة كل جمالية الكتابة على آلياتها، من حيث تنكرت لباقي المكونات التقليدية الأخرى[2].

وعليه من خلال التعاريف التي سبق ذكرها توصلت إلى أن: الرواية نوع من أنواع السرد أو هي فن نثري يتناول مجموعة من الأحداث التي تنمو وتتطور، وتقوم بها شخصيات متعددة

1_مصطفى الصاوي الجويني ، في الأدب العالمي(القصة،الرواية،السيرة) ، مرجع سابق ،ص13

2– عبد المالك مرتاض،في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، مرجع سابق، ص26

في مكان وزمان حيث يكون المكان أوسع من مكان القصة، والزمان أطول من زمانها نسبيا على أن يميز هذا الجنس الأدبي عن سواه هو أنه منفتح على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

المطلب الثاني: مفهوم السيرة :

إن السيرة بوجه عام جنس أدبي ممتد الجذور في عالم الكتابة والتأليف وقد تهيأ له أن يشق طريقه ضمن أجناس أدبية نثرية متعددة بفضل مضمونية وأسلوبية ميزته عن باقي الأنواع الأدبية، وإذا نظرنا في الاستعمالات المفردة ونجد:

السيرة: من (سار) أو ن (السير)، بمعنى: مشى وذهب في الأرض، والسيرة بكسر السين: والسنة والطريقة والهيئة، يقال: هذه سيرة فلان، أي طريقته وسنته وسار الأمير في الرعية سيرة حسنة، أي طريقة حسنة، وأحسن فلان السير أي هيئة المسير.

وأما المقصود بالسيرة المعروفة في اصطلاح الأدباء باسم (الترجمة الأدبية): نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته[1].

السيرة جنس أدبي له تقنياته الفنية الخاصة به، لأنه يعتمد على الحقائق، التي تصاغ في أسلوب أدبي، يستعمل فيه الخيال بقسط محدود وبما لا يتعارض مع عرض هذه الحقائق في حياة صاحبها، ومن شأن هذا العمل أن يحدث متعه جمالية، انطلاقا من هذا التصور ينبغي أن نستبعد من هذا الفن تلك الصورة الفنية التي تأخذ طابعا مختلفا عن السيرة.

السيرة هي تاريخ حياة أي Biographie أو بعبارة أخرى، أنها حياة إنسان منذ ولد إلى أن مات أو إنسان عظيم تستحق حياته التسجيل عن سائر الأناسي، والسيرة في الأدب متعددة

[1]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية– الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا–، إشراف: الطيب بودربالة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434–1435هـ/2014–2015م، ص10

الأشكال والأنواع وبالتالي هي متعددة التعريفات تبعا للنوع والشكل الذي تأخذه، إلا أن أشهرها نوعان السيرة الذاتية والسيرة الغيرية وسأتطرق فيما بعد بالتفصيل إلى تعريفهما[1] .

ومن الدارسين من ذهب إلى كون السيرة فنا قديما تعود جذوره إلى العهود اليونانية القديمة المتألقة، وقد ربط كثير منهم نشأة السيرة بالتاريخ، فهي فن يدون حياة إنسان، وتاريخه المرتبط بالجماعة، والمتأثر بالأحداث الاجتماعية والتاريخية، ففي أحضان التاريخ، إذن، نشأت السيرة وترعرعت، واتخذت سمتا واضحا وتأثرت بمفهومات الناس عنه على مر العصور.

وقسم النقاد السيرة إلى صنفين غيرية يتحدث فيها الأديب عن شخص آخر، وذاتية يترجم فيها حياته، ويكشف لقرائه ما خفي من أمور تتعلق بمسيرته، ووجدوا أن كاتب السيرة الذاتية أكثر قدرة على رسم الشخصية، وأعمق تحليلا لها، فكاتبها " يقدم الشخصية من الداخل إلى الخارج، بمعنى أنه يقدم الانفعالات، ثم أثرها الخارجي، أو بروزها في شكل أحداث، أما كاتب السيرة الغيرية فليس أمامه إلا أحداث في أكثر الأحيان، منها ما يتعمق إلى الداخل، و يقدم الشخصية من الخارج إلى الداخل "[2].

تعني لفظة سيرة اليوم حسب الاستعمال:

1-تاريخ إنسان(مشهور عموما) مروي من طرف شخص آخر (وهو المعنى القديم والأكثر شيوعا).

2-تاريخ إنسان(غامض عموما) مروية شفويا من طرفه لشخص آخر آثار هذا التاريخ من أجل دراسته(منهج السيرة في العلوم الاجتماعية)

---

[1]- بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا ص07

[2]- سامر صدقي محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم دراسة نقدية تحليلية، إشراف: عادل أبو عمشة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010، ص08

3-تاريخ إنسان مروي من طرفه لشخص أو أشخاص يساعدونه، عن طريق سماعهم، على التوجه في حياته. (السيرة في تشكلها)

ويقر (فيليب لوجون) بأنه كان عليه أن يأخذ بعين الاعتبار مثل هذه التعددية في المعنى أثناء استخدامه للفظة والسيرة الذاتية التي أخذت من انجلترا في بداية القرن التاسع عشر، لتدل على معنيين متحاورين لكنهما مختلفان مع ذلك.

المعنى الأول(وهو الذي اختاره) هو الذي يقترحه لاروس سنة 1866 " حياة فرد ما مكتوبة من طرفه"، معارضا السيرة الذاتية التي هي نوع من الاعتراف مع المذكرات التي تروي أحداثا يمكن أن تكون غريبة عن السارد، المعنى الثاني(وهو أكثر عمومية من الأول) وهو الذي يحدد السيرة الذاتية باعتبارها كل نص يبدو أن مؤلفه يعبر فيه عن حياته وإحساساته، مهما كانت طبيعة العقد المقترح من طرف المؤلف[1]

أما عن كاتب السيرة فهو شخص ذو حساسية خاصة وذوق مرهف وإحساس باللحظة التاريخية التي يعيشها، لأنه لم يكتب هذا العمل من فراغ، بل من معاناة وإطالة فكر، وفترة معايشة لموضوعه فترة طويلة حتى أخرجه إلى الوجود، بعد معاناة وقلق وكل سيرة فإنما هي تجربة ذاتية لفرد من القلق الفني، فإنه لابد أن يكتبها، والناس مهما يطل عليهم الأبد وتختلف أحوالهم هم أحد رجلين: رجل وصل إلى حيث يؤمل وانتصر على الحياة وصعابها ورجل كافح حتى جرحته الأشواك وأدركه الإخفاق، وكلا العاملين (أعنى الوصول والخيبة) يبلغان بالتجربة حد النضج[2] فكل سيرة جاءت نتاجا لدافع نفسي لصاحبها كإحساسه بالمعاناة النفسية التي

[1]– فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر وتق: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص10

[2]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2015، ص26

تحيط به نتيجة ظروف خاصة .. لذا يكتب ليفيد ويستفيد، يفيد القارئ بتجاربه ويستفيد بالتنفيس عن نفسه، ومشاركة غيره فيما عاناه من أشجان وآلام حتى قهر الظروف العاتية[1].

المطلب الثالث: مفهوم السيرة الذاتية

إن واقع التنظير لفن السيرة الذاتية من حيث التعريف بها ووضع حدود معرفية تؤصل لها وتضبطها اصطلاحا يوقع الدارس في حيرة الاختيار للتعريف الأصوب والأشمل في غمرة ما شهده هذا المصطلح من توصيفات وتعاريف لا نقول إنها مختلفة وإنما متعددة وأحيانا متكاملة في كثير منها، والواقع أن هذا الحذر في وضع تصور للسيرة الذاتية ليس سببه حداثة عهد الفن[2]، إنما كونه خطابا سرديا تعرض عبر التاريخ لكثير من التغيرات وهذا ما يضع مفهوم السيرة الذاتية في منطقة الالتباس والصعوبة على حد قول محمد معتصم في كتابه الذي ينظر بإيجابية إلى التغيير الذي تعرض له الخطاب السير ذاتي عبر التاريخ إذ يرى فيه تعبيرا عن قدمه وأصالته وأنه رافق الأمم والشعوب منذ بداية التاريخ، منذ لحظة تشكل الوعي رغم أن السيرة لم تكن في هذه المراحل الموغلة في القدم فنية وذات بعد جمالي محض[3].

السيرة الذاتية عمل أدبي، رواية، سواء كان قصيدة أم مقالة فلسفية، ...الخ قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو صريح إلى رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم إحساساته، وسيقرر القارئ بالطبع ما إذا كانت مقصدية المؤلف أم لا[4]

---

[1]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ،مرجع سابق، ص27

[2]– حفيظة سوالمية،رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص21

[3]– محمد معتصم، خطاب الذات في الأدب العربي، مطبعة الأمنية، منشورات دار الأمان للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2007، ص14

[4]– فيليب جون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، مرجع سابق، 10–11

السيرة الذاتية عبارة عن حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته[1] وهي مادة ذاتية ومادة متخيلة من منطلق أن المادة الحكائية المسرودة تتألف من هاتين المادتين، كما أن السيرة الذاتية من أهم عناصرها الذات والخيال على اعتبار أن النص رواية[2]. كما تجمع يجمع في الوقت نفسه الشروط المشار إليها في كل صنف من هذه الأصناف ولا تجمع الأنواع المشابهة للسيرة الذاتية كل تلك الشروط وهذه لائحة للشروط غير المحققة حسب الأنواع: (المذكرات، السيرة، الرواية الشخصية، قصيدة السيرة الذاتية، اليوميات(الخاصة) ،الرسم الذاتي أو المقالة)

ومن البديهي أن مختلف الأصناف متفاوتة من حيث اجباريتها: إذ يمكن أن يتحقق الجزء الأكبر من بعض الشروط دون أن يتم ذلك كليا، يجب أن يكون النص حكيا قبل كل شيء غير أننا نعرف المكانة التي يشغلها الخطاب في السرد الأتوبيوغرافي، كما أن المنظور الاستعادي بالأساس لا يقصي مقاطع من الأتوبورتريه، ويومية خاصة بالعمل المنجز أو بالحاضر المزامن لتحريره، والبناءات الزمنية الجد معقدة، كما يجب أن يكون الموضوع أساس هو الحياة الفردية وتكون الشخصية، غير أنه يمكن أن يشتمل إلى جانب ذلك على التعاقب والتاريخ الاجتماعي أو السياسي، فالأمر يتعلق هنا بمسألة تناسبية أو بالأحرى بمسألة تراثية، إذ تقام بالطبع عدة تبادلات مع باقي أنواع الأدب الشخصي (مذكرات، يومية، مقالة)، وتبقى للمصنف حرية معينة فحص الحالات الخاصة.

فلكي تكون هناك سيرة ذاتية(وأدب شخصي بصفة عامة) يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية[3].

---

[1]– فيليب جون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، مرجع سابق ، ص08

[2]– بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا، مرجع سابق

[3]– فيليب جون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، مرجع سابق، ص23–24

السيرة الذاتية هي مزج الكاتب بين جنسين أو فنيين أدبين هما: الرواية والسيرة، بمعنى مزج ماهو حقيقي وواقعي، مع ماهو متخيل أو خيالي، وذلك بغية إنتاج صورة أو نص إبداعي، يفسح لنفسه مجالا واسعا في الكتابة علما بأن الرواية السيرة الذاتية تأخذ الظواهر الاجتماعية موضوعا لها وتجعلها في نص سردي يعكس الواقع المعيشي، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن هناك علاقة وطيدة بين الواقع والخيال داخل رواية السيرة الذاتية[1].

يرى (موريس جانجى) أن السيرة الذاتية فن يوناني استخدمت فيه كلمتا (الترجمة/ والسيرة الذاتية) بوصفهما اصطلاحين يعبران عن معنى واحد، ويعنيان تحديدا هذا النوع من الكتابة التي يروى فيها المؤلف حياته بقلمه، ولذا أطلق عليه الغربيون مصطلحا مكونا من ثلاثة مقاطع Auto Biographie والمقاطع الثلاثة في Bois بمعنى " الحياة " وgraphien أي الكتابة وAuto بمعنى ذاتي، ويعرفها فيليب لوجون في كتابه السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي عام 1975، بأنها " حكى استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة وهي عند (بيرسي لوموك)، تندرج – السيرة– تحت الأدب حيث في كيان أدبي متمرد، بل دائم التمرد على الأشكال والقواعد الأدبية، وهي صبغة المراس وغير منطقية[2]

السيرة الذاتية هي التي ترتبط بضمير الأنا، هي الأسلوب الذي يروي من خلاله كل واحد من السمار الثلاثة عن حياته الفنية أو الاجتماعية الواقعة قبل بداية الحاضر الروائي[3].

السيرة الذاتية في مفهومها العام حسب (فيليب لوجون) " حكي استعدادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصية بصفة عامة مستندا في ذلك إلى مجموعة مرتكزات حددها " لوجون" بشكل الكلام والموضوع

---

[1]– بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا ، مرجع سابق، ص8

[2]– ممدوح فراح النابي، رواية السيرة الذاتية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2011، ص34

[3]– آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص110

المطروق ووضعية المؤلف ووضعية السارد إلا أن معظم دارسي السيرة المهتمين بخصوصية النوع ودرجة استجابة السيرة الذاتية المكتوبة للمرتكزات والتزامها بمعطياتها لا يجدون شكلا معينا يستوعب أو يحدد صياغة السيرة بذاتها لكن مرتكزاتها الأساسية تظل متبلورة في كونها ميثاقا بين القارئ الاحتمالي والكاتب وفي التشديد على فعل كتابتها ذاته وعلى إفادتها من الوقائع الماضية لصياغتها برؤية فردية هي حصيلة المعاشرة الظاهرة للعالم وإسقاط الشعور والوعي على إحداثه وأشيائه وإعادة تقديمها عبر كشف ذاتي خالص[1].

يعد مصطلح السيرة الذاتية من أهم المصطلحات التي نالت اهتماما كبيرا من طرف المفكرين، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية هذا الجنس الأدبي في الساحة الأدبية فهو: " عمل فني ينتقي وينظم ويوازن على النحو الذي يصور ذلك جميعا، في عمل أدبي يترك أثره المنشود لدى المتلقي يتساوى في ذلك ما يقدمه الكاتب عن حوادث وأخبار وذكريات طفولته وشبابه "[2].

السيرة الذاتية هي عمل سردي يعتمد اعتمادا كليا على السيرة الذاتية للروائي وغالبا ما تخضع الرواية السير ذاتية لبناء سردي يماثل البناء السير ذاتي خاصة في التسلسل الحدثي السير ذاتي وعلاقته بالأزمنة والأمكنة والشخصيات الداعمة لموقف الذات عبر جسد المتخيل، لذا فهي تنوع ما أمكنها ذلك في استثمار الطاقات التقنية بآلياتها المتعددة للرواية السير ذاتية معا وتنوع في استخدام الصوت الثالث الغائب من أجل التحكم في حلقة من حلقات السرد[3].

وتتمتع رواية السيرة الذاتية ببنية سردية تميزها عن الرواية كونها: " عمل سردي روائي يعتمد اعتمادا كليا على السيرة الذاتية للروائي، وغالبا ما تخضع رواية السيرة الذاتية لبناء

---

[1]– بلباشة مسيكة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية رواية " مزاج مراهقة " لـ " فضيلة الفاروق " أنموذجا، مجلة المدونة، مج05، ع01، 2017–2018، ص03

[2]– ممدوح فراح النابي، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص47

[3]– نفس المرجع، ص04

سردي يماثل البناء السير ذاتي، خاصة في التسلسل الحدثي السير ذاتي وعلاقته بالأزمنة والشخصيات الداعمة لموقف الذات هو جسد المتخيل، لذا فهي تنوع ما أمكنها ذلك في استثمار الطاقات التقنية بآلياتها المتعددة للرواية والسيرة الذاتية معا "[1].

التعريف الجامع المانع للسيرة الذاتية ضرب المحال، ومرجع ذلك هذا النوع الأدبي الذي ينفر، من التجنيس، وفيها يعرض المؤلف (صاحب السيرة) لحياته الواقعية، وفي أسلوب أدبي، أو علمي متأدب وفي أشكال فنية متعددة، قد يتخذ الشكل الروائي، أو الشكل المقالي، أو الاعترافات، أو المذكرات، أو الذكريات ...الخ، كل ذلك في نسق متآلف، فيعرض لمراحل حياته المتعاقبة وتطوره الفكري والوجداني والروحي والعقبات التي واجهته ...الخ، فتتنوع أشكالها وتتداخل معالم الأنواع الأدبية فيها.

وللسيرة الذاتية غاية يهدف صاحبها من وراء كتابتها قد تكون توكيدا للذات، أو تنفسيا عن انفعالات، أو حالة نفسية ألمت به، أو تبريرا لموقف غير مستساغ صدر منه، أو دفاعا عن قضية فكرية، أو اجتماعية ألمت بها ...الخ

قياسا لصعوبة الاتفاق على المقومات العامة التي قد تصوغ للسيرة الذاتية وضعا معتبرا بين الأجناس الأدبية الأخرى، بينما ترجع جليلة الطرطير سبب هذه الصعوبة إلى أمرين آخرين قائلة: " يتفق جل المعنيين بالكتابة السير ذاتية والباحثين في خصائصها، على أنها جنس استعصى على التعريف الواضح المحكم نظرا لسببين رئيسيين على الأقل: الأول يعود كما هو معلوم إلى الاتفاق الحاصل بشأن الحداثة هذا الجنس، والثاني هو نتيجة مباشرة للسبب الأول، ويعود إلى عدم توفر سنة راسخة في قراءة النصوص وتحليلها، هي الكفيلة وحدها بأن تقود إلى تعريف واحد وموحد يمكن أن يطمئن إليه جل النقاد "[2]

[1]– بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا ، مرجع سابق، 09

[2]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص24

يبدو أن ثمة إجماع من قبل النقاد على التقارب بين نوعي الرواية والسيرة الذاتية، هذا التقارب جعلهم يولدون من خلال المنطقة الوسطى التي يتلقى فيها النوعان، نوعا هجينا يجمع من خصائص النوعين – معا– هو رواية السيرة الذاتية، وقد أرجع البعض أمثال " جورج ماي " مسألة التقارب بين النوعين إلى العلاقة المتاخمة بينهما حيث إن القص السير ذاتي، هو وريث القص الروائي، أو أن السيرة الذاتية تظل على ما فيها من خصائص شكلا روائيا كما ذكر شكري المبخوت[1]

يتفق الدارسون على أن مصطلح السيرة الذاتية ظهر سنة 1866 حسب معجم لاروس للغة الفرنسية، وهو يعني حياة فرد ما مكتوبة من طرفه، كما تعرف أيضا على أنها: " في الحديث عن الذات من جميع أطرافها بعيوبها أن هذا التعريف تنبه إلى خاصية التأثر والتأثير في الوسط والظروف الخارجية التي يعيشها صاحب السيرة الذاتية وينقلها سلبا أو إيجابا[2].

ويرى عبد العزيز شرف أن السيرة الذاتية " هي تعبير عن أهم مظاهر الحياة الشخصية لكاتبها وهي حياة لا ينفصل فيها الداخل عن الخارج، ذلك أنها في صميمها تركز وإشعاع انفصال واتصال، انطواء على الذات وافتراق عن الذات ... سيرة إنسان من الداخل وهو في تواصل من الخارج "[3]

نضيف لما سبق لاستحالة وضع تعريف جامع مانع للسيرة الذاتية، طبيعة الأدب الذي يند عن التحديد الصارم والقول الفاصل، لذا فلا غرابة أن تختلف تعريفات الدارسين، وإن اتفقوا في قرارهم للسمات العامة لهذا الجنس الأدبي[4]، ففي دائرة المعارف البريطانية السيرة الذاتية هي المؤلف (الروائي) الذي يسجل بصورة واعية وبصيغة فنية الحدث، ويعيد للحياة – الدرامية،

---

[1]– ممدوح فراح النابي، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص36

[2]– نفس المرجع، ص25

[3]– ممدوح فراح النابي، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص28

[4]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص13

لأن موضوعها الحياة، وفرع من الأدب يحتوي على تقرير عن حياة أشخاص، وهي صيغة أدبية قديمة.

ويعرفها فيليب لوجون بقوله: " سرد استعاري نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصه، ويعرفها فايبرو بأنها (السيرة الذاتية) عمل أدبي وبأن هذا العمل قد يكون رواية، أو قصيدة، أو مقالة فلسفية ويعرض فيه المؤلف أفكاره، ويصور إحساساته بشكل ضمني أو صريح.

ويعرفها محمد عبد المغني حسن بقوله: " التراجم هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول للتعريف بحياة رجل ... تعريف يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة المترجم – أي صاحب الترجمة– ومدى قدرته على رسم صورة كلية واضحة ...ودقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه، وعند الدكتور محمد يوسف نجم هذا النوع يقوم على وحدة الحياة، لا وحدة الحادثة أو وحدة العمل القصصي، أو وحدة التأثير، وعند أنيس المقدسي " هو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي، والإيقاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد، ورسم صورة دقيقة لشخصه.

ولا يعد العمل الأدبي سيرة بالمعنى الحقيقي إلا إذا كان تفسيرا للحياة الشخصية في جوهرها التاريخي، فهي ليست مجرد أخبار تاريخية، ولا هي مجرد تحليلات نفسية أو اجتماعية، بل هي كل ذلك مسبوكا في قالب فني ذي طلاوة ورواء.

ولعل أقرب التعريفات لهذا الجنس الأدبي تعريف د. يحي إبراهيم عبد الدايم في قوله: " الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح ... وفي أسلوب أدبي، قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا وكافيا

عن تاريخه الشخصي على نحو موجز، حافل بالتجارب والخبرات المنوعة الخصبة، وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، وحسن التقسيم، وعذوبة العبارات وحلاوة النص الأدبي"[1]

كل هذه التعريفات تتلاقى وتتجاوز ولا تتعارض، أو تتناقض، لتجتمع على أن السيرة الذاتية الأدبية عمل أدبي يقوم صاحبه بتأليفه، ويعرض لسيرة حياته في إطار عصره، دون أن يلزم نفسه بمنهج المؤرخ الذي يرصد كل أحداث عصره، وهذا العمل يتوافر فيه روعة التعبير الأدبي، وجودة الصياغة الفنية والتناسق بين أطرافه، في رابطة فنية محكمة، مع اختلاف صور التشكيل الفني من كاتب لآخر، وانطلاقا من هذه المقدمات الفنية لفن السيرة الذاتية نستبعد كثيرا من صور التعبير الذاتية، كالأحاديث الصحفية رغم قدرتها في الإشارة إلى سمات صاحبها (الفكرية المزاجية والاجتماعية) ولكن لا تعطينا صورة مستوفاة عن سيرة حياة صاحبها، في نسق متكامل، أو الاعترافات الخاصة، التي هي غير الاعترافات العامة مثل اعترافات القديس أوجستين، أو اعترافات روسو التي تعتبر سيرة ذاتية كاملة لأنها تعكس لنا حياة صاحبها في صورة متكاملة، أما الاعترافات الخاصة مثل اعترافات شفيق جبري في كتابيه (أنا والشعر وأنا والنثر) وحياتي في الشعر لصلاح عبد الصبور[2] .

وقد استخدم كثير من الدارسين السيرة بمعنى الترجمة، وإن كانت كلمة سيرة في التراث العربي أقدم في الاستعمال من كلمة ترجمة، من حيث مدلولها في تتبع تاريخ حياة شخص من الأشخاص، فالأولى استعملها محمد بن اسحق في تاريخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبقى هذا المدلول حتى القرن الرابع هجري، حتى كتب ابن الداية (سيرة بن طولون) فتطور المدلول من الخاص إلى العام ... والمعاجم العربية القديمة تغفل استعمال كلمة (ترجمة) للدلالة على تاريخ الحياة، ولكن المعاجم المعاصرة تستخدمها بهذا المعنى، ولعل الاستعمال وحده هو

[1]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص14

[2]– نفس المرجع، ص15

الذي فرق بين الكلمتين في المدلول، حيث استعملت سيرة التواريخ الحياة المسهبة وترجمة للتواريخ الموجزة[1] .

ويتجلى مما سلف أن التعريف المتعددة التي بسطنا محتواها تتقارب وتتفق إلا فيما زاده الناقد على الآخر من تفاصيل يكون قد أغفلها غيره، أو تنبه إلى غيرها من الضوابط والجزئيات التي يسعى كل منهم من خلال الالتفات إليها وتسليط الضوء عليها لوضع تعريف جامع ومحدد لفن السيرة الذاتية .

ومواضع الاتفاق بينهم تكمن في جملة من العناصر هي المؤسسة للخطاب السير ذاتي ونلخصها في:

1. غلبة طابع البساطة على هذه التعاريف حيث أنها تنظر إلى السيرة الذاتية على أنها تاريخ للحياة يكتبها صاحبها.
2. التأكيد على عنصر الواقعية " وهو يقابل عنصر الخيال، وهذا يعني أن كاتب السيرة الذاتية يجب أن يتميز بالصدق والأمانة في نقل حياته للآخرين "
3. السيرة الذاتية جنس أدبي يختلف عن المذكرات واليوميات مادة ومنهجا.
4. هذه التعريفات وما ماثلها مما قدمه نقاد كثيرون " لا تقدم وصفا واضحا تسهل مراجعته وتعميمه شرطا جماليا أو وظيفيا أو إجرائيا على الأقل لتحديد فن السيرة الذاتية، وهي إن كانت تعريفات عامة مقبولة تشير من بعد إلى السيرة الذاتية، إلا أنها لا تميزها عن ألوان أدبية أخرى تختلط بها مثل: المذكرات والذكريات واليوميات والاعترافات ...."[2]
5. ركز أغلب النقاد في تعريف جنس السيرة الذاتية على جانب المضمون وأهملوا كثيرا الإطار الفني أو الشكل الأدبي الذي ينتج هذا المضمون ويخرج به إلى الإبداع والأدبية

[1]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق ، ص16

[2]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص31

ولا أقصد هنا اللغة والأسلوب لأنهما من حط جميع أنواع الكتابة وإنما أقصد الشكل العام والصياغة الأدبية.

6. أغرقت جل هذه التعريفات في الإنسانية والوصف دون التحديد والدقة.
7. وقع كثير ممن حاولوا وضع حد للسيرة الذاتية في أسر الشروط الفنية التي تميز السيرة الذاتية دون أن يقترحوا تعريفا لها وهو ما نحا بهم إلى تضييق النظرة إلى هذا الفن وبالتالي إقصاء كثير من الأعمال السير الذاتية التي انتفى منها شرط أو أكثر من هذه الشروط التي تحدد ما ينبغي أن تكون عليه السيرة الذاتية.

فالمطلوب ليس حدا يضبط السيرة الذاتية ويقيدها، وإنما تعبير يعبر عن معطى سير ذاتي موجود حقا ممثل في المدونة السير ذاتية العربية بكل تنوعاتها وتراثها[1].

المطلب الرابع: مفهوم رواية السيرة الذاتية

يعد مصطلح رواية السيرة الذاتية من أهم المصطلحات التي نالت اهتماما كبيرا من طرف المفكرين، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية هذا الجنس الأدبي في الساحة الأدبية فهو: " عمل فني ينتقي وينظم ويوازن، على النحو الذي الذي يصور ذلك جميعا، في عمل أدبي يترك أثره المنشود لدى المتلقي يتساوى في ذلك ما يقدمه الكاتب عن حوادث وأخبار وذكريات طفولته وشبابه[2] .

هناك من عرف رواية السيرة الذاتية على أنها مادة ذاتية ومادة متخلية من منطلق أن المادة أن المادة الحكائية المسرودة تشمل نوعين من الإبداع الأولى مادة ذاتية والثانية(مادة متخيلة)، وبالمزج بين المادتين الذاتية والمتخيلة يتولد النص المضفر/ الهجين الذي يطلق عليه بـ(رواية السيرة الذاتية).

---

[1]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق ، ص38

[2]– بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا ، مرجع سابق، ص08

ومن تم ظهرت الآراء التي تنادي بقراءة الأعمال حسب ترجيح إحدى المادتين داخل النص، فمنهم من يقرأ النص على أنه رواية عندما يغلب المادة المتخيلة على (الواقع المرجعي) المستمد من الذاتي، والبعض الآخر يقرأ العمل على أنه(سيرة ذاتية) عندما يغلب المادة الذاتية على المادة المتخيلة.

وأخيرا جاء فريق وسط يجمع بين النوعين، ويقرأ النص في ضوء عملية المزج بين الذاتي والمتخيل، وأطلقوا عليه مصطلحا هجينا هو(رواية السيرة الذاتية) كبديل دون تغليب عنصر على آخر [1].

ويبدوا أن السيرة أوغل في الصدق، وأوقع في النفوس، لأن مؤلفها صاحبها يمتاح من ذاكرته ويكتب عما اعتمل في نفسه، فلا يوجد هناك وسيط لعرض أحداث حياته ومواقفه في الحياة[2]

وفي تتبعنا لمفهوم رواية السيرة الذاتية نجد أنها عمل سردي يعتمد اعتمادا كليا على السيرة الذاتية للروائي وغالبا ما تخضع الرواية السير ذاتية لبناء سردي يماثل البناء السير ذاتي خاصة في التسلسل الحدثي السير ذاتي وعلاقته بالأزمنة والأمكنة والشخصيات الداعمة لموقف الذات عبر جسد المتخيل، لذا فهي تنوع ما أمكنها ذلك في استثمار الطاقات التقنية بآليتها المتعددة للرواية السير ذاتية معا وتنوع في استخدام الصوت الثالث الغائب من أجل التحكم في حلقة من حلقات السرد.

إن رواية السيرة الذاتية لا تنسلخ عن حياة صاحبها وإن احتل الخيال مساحة من الأحداث وفيها يستعير الكاتب عناصر الفن الروائي لنكون أمام رواية يرتكز محورها الرئيس على تجربة سببت المعاناة للمؤلف، حيث كان بطلها ومدار أحداثها وحيث كانت تلك الأحداث تمثل جزءا

[1]– ممدوح فراح النابي، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص47–48

[2]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص144

من حياة البطل أو صفحة من حياته كل ذلك بشرط أن يعبر المؤلف عن تلك التجربة الشخصية في قالب روائي تتوفر فيه أهم عناصر الرواية[1]

يقصد برواية السيرة الذاتية: " ذلك القالب الفني الذي يزاوج فيه الكاتب في عرض أحداث حياته الواقعية والشكل الروائي، الذي يعتمد على السرد والتصوير، وإيجاد الترابط والاتساق بين الأحداث الفنية، واستخدام الخيال استخداما محدودا في تجسيد هذه الأحداث (الحقيقية) واللجوء إلى الحوار في تجسيم المواقف، والكشف عن أبعاد شخصيته، وتحقيق المتعة الجمالية في عمله الأدبي، ناهيك عن استخدام الأحداث اللغة ذات الطابع التصويري الإيحائي، الذي يساعد على تجسيد الأحداث وتصويرها، مع حسن صياغة الأسلوب جملا وعبارات، والأمثلة كثيرة في أدبنا العربي، نذكر منها طح حسين في (الأيام) وحنا مينا في ثلاثيته (بقايا صور المستنقع– القطاف) وخليل في (الوسية) ومحمد شكري في (الخبز الحافي– الشطار) ....الخ[2]

أي أن المقصود بالرواية السير ذاتية عند الباحث محمد فايد هو تلك الروايات التي تترجم أحداث ووقائع مرتبطة الصلة بالروائي نفسه ولكن شريطة الإبقاء والمحافظة على تلك الميكانيزمات الجوهرية التي يبنى عليها العمل الروائي بصفة عامة وهو نفس التعريف الذي نجده في قاموس السرديات لجيرالد برانس الذي عرف الرواية السير ذاتية على أنها " سرد الراوي المتكلم الذي يكون فيه الراوي هو الشخصية الرئيسة أو البطل، أحد أشكال السرد المتجانس الحكي Homodiegetic (الراوي حاضر كشخصية في الحكاية)، والذي يكون فيه الراوي أيضا الشخصية الأولى "، ذلك أن الرواية السير ذاتية عند جيرالد برانس هي تلك الرواية التي يكون فيها تطابق تام بين الروائي صاحب الرواية والشخصية البطلة في الرواية بحيث لا يمكن الفصل بينهما لتشابه الأحداث والوقائع بينهما، أما فيليب لوجون فقد نظر إلى الرواية

[1]– بلباشة سكينة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية رواية " مزاج مراهقة " لـ " فضيلة الفاروق " أنموذجا، مرجع سابق، ص180

[2]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص75

السيرذاتية على أنها: " حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة "، محددا من خلال ذلك مجموعة من الشروط التي ينبغي توفرها في أي عمل روائي حتى يمكننا أن ندرجه ضمن عالم الرواية السيرذاتية أين قسم بذلك هذه الشروط إلى أربعة عناصر أساسية وسأتطرق إليها فيما بعد[1].

وعليه نستنتج فرواية السيرة الذاتية إذا هي مزج الكاتب بين جنسي الرواية والسيرة، أي مزج الواقعي مع المتخيل من أجل إعطاء صورة أو نص إيداعي متميز، ويفسح لنفسه مجالا واسعا في الكتابة، والأمثلة كثيرة في أدبنا العربي، نذكر منها: رواية الأيام لطه حسين أنا لعباس محمود العقاد، حياتي لأحمد أمين، ومن الكتاب الذين اشتهروا أيضا بكتابة سيرتهم على هيئة رواية الكاتب والروائي حنا مينة في ثلاثية (بقايا صور، المستنقع، القطاف) وبسعر خليفة في روايتها مذكرات امرأة غير واقعية، وقد يلجأ الكاتب إلى كتابة سيرته بأسلوب روائي مثلما حدث في رواية البئر الأولى لجبرا إبراهيم جبرا، والتي يقص فيها سيرته الذاتية حتى بلوغه سن التاسعة من عمره، وفي الجزائر نجد رواية ابن الفقير لمولود فرعون وإن كانت باللغة الفرنسية، ونجمة لكاتبي ياسين .... بالإضافة إلى النماذج التي تم ذكرها سلفا .

المبحث الثاني: نشأة الرواية العربية:

المطلب الأول: نشأة الرواية عند الغرب:

لقد كان هناك تباين واختلاف في زمن ظهورها فمن الدارسين من أدرج فيها الروايات اليونانية القديمة وردّها بذلك إلى العصر الإغريقي، ومنهم وهم الأغلبية من جعل للرواية بدايتين واحدة للرواية اليونانية أو الرواية القديمة في القرنين الأول والثاني، والأخرى للرواية الحديثة في القرن السادس عشر ومنهم من قال لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر مع دون

[1]– أبو بكر عبد الكبير، الرواية السيرذاتية وعناصرها الأساسية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، ص04

كيشوت، أو حتى في القرن الثامن عشر مع سيادة البرجوازية ومن الدارسين من حصر ظهور الرواية في عصرها الذهبي في القرن التاسع عشر، ويبدو أن الرواية جنس أدنى قد ظهر أولا في فرنسا في القرن الثاني عشر وفي هذا المعنى يقول أحد الباحثين: " إن الرواية من حيث هي جنس حديث (...) قد نشأت في الغرب وفي فرنسا على وجه الخصوص "[1] .

المطلب الثاني: نشأة الرواية عند العرب:

إذا كان بعض الدارسين يربط الرواية بعناصر القصص الأخرى فيعدها شكلا عن لقصة والحكاية فإن ذلك يتتبع القول بأن الرواية لها جذور وأصول في الأدب العربي الذي عرف هذا الفن ممثلا في بعض ما جاء مثبوتا في كتب الجاحظ وابن المقفع، ومقومات بديع الزمان الهمداني والحريري.

لكن بعض الدارسين على خلاف زملائهم يرون أن الرواية فن مستورد، ومن هؤلاء إسماعيل لأدهم الذي يفسر الأدب القصصي في القرن العشرين منقطعا عن الأدب العربي في بنيته التاريخية، ويراه شيئا جديدا أوجده الاتصال بالغرب، كما يرى بطرس خلاق الرأي نفسه فيقول: " لا يختلف اثنان في أن الرواية العربية نشأت في العصر الحديث فنا مقتبسا من الغرب أو متأثر به تأثرا شديدا "[2].

ثم إنه من غير الممكن التحدث عن نشأة الرواية وتطورها في العالم دون المعاج عل المدرسة الأمريكية للنظر في أثرها في هذا التطور، من أهم الأنواع الروائية التي نشأت هذه المدرسة " السلسلة السوداء"، و " رواية التجسس"، ولقد ازدهرت تلك المدرسة الروائية في

---

[1]– أميرة رقيق، خصوصيات الكتابة الروائية في رواية رماد الشرق لواسيني الأعرج خريف نيويورك الأخير، إش: بولنوار بوديسة، ج1، مذكرة شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد بوضياف لمسيلة، 2016–2017، ص23

[2]– مفقودة صالح، نشأة الرواية العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص08

الأعوام التي عقبت الحرب العالمية الأولى ازدهارا عظيم النفاق وما يميزها هو الأسلوب الجديد في السرد، ونفخوا في جنس الرواية نفسا جديدا[1].

كان نشوء الرواية في الأدب العربي، مواكبا لبداية عصر النهضة الحديثة، لم يعرفها الأدباء في القديم وما يعده بعضهم داخلا في إطار الرواية كسيرة عنترة أو بني هلال، والزير سالم وغيرها، سوى أخبار بطولية كانت تقص في أثناء الاجتماعات وحلقات الأسمار وكانت الغاية منها التسلية وتزجية الفراغ، ثم إنه لا ريب أن لاتصالنا بالغرب أثرا كبيرا في انتشار هذا الفن في أدبنا العربي وكما مرت القصة بطور الترجمة فالاقتباس فالوضع، كذلك كان الحال في الرواية خلال مراحل متعددة حتى استقرت في مسلسلات كروايات جورجي زيدان التاريخية والاجتماعية وفرح أنطوان ونقولا حداد وغيرهم[2].

ويرجع الفضل في ظهور الرواية إلى عاملين أساسيين هما الصحافة والترجمة فقد نشر سليم البستاني في مجلة الجنان التي أنشأها والده المعلم بطرس البستاني روايات عديدة منذ عام 1970[3].

لقد شقت الرواية العربية على هذا الأساس منهجا مستحدثا، ركح في عمومه إلى الرغبة في إعادة تأصيل الكتابة الروائية من خلال تجريب تقنيات وصيغ جديدة بمقدورها أن تواكب مجمل القضايا والوقائع وتجليات الواقع عبر التخيل لأجل صياغة وعي قادر على التحرر من الرتابة التي هيمنت على ذائقة المتلقي خلال كل التجربة الواقعية وأشكالها التقليدية الراسخة،

---

[1]– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، مرجع سابق، ص37

[2]– نسيمة بلعبيدي، شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس أحلام مستغانمي، رسالة ماستر، إشراف: محمد العيد تاورتة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، ماي، 2011، ص21

[3]– نسيمة بلعبيدي، شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس أحلام مستغانمي ،مرجع سابق، ص21

وهو ما قد يتيح إمكانية تحرير " الرواية العربية من أسر العلاقة التقليدية بين الأدب والواقع ومن قواعد إحالة الأول على الثاني "[1]

نعترف مبدئيا بأن قلة من الكتاب هم الذين يعتمدون عند صياغة مواقفهم، على أنماط تختلف أو تكاد عن الأنماط التي تصاغ بها المتون في الأعمال الروائية، ومرجع هذا ناتج عن عدم شيوع هذا الشكل " السيري" في الحقل التداولي العربي، مقارنة بشيوع نمط الرواية التي تمتد إلى أوائل القرن التاسع عشر، والسبب الثاني كما نعتقد، راجع إلى مدى تقبل العقلية العربية لهذا النوع رواية السيرة الذاتية، خاصة في ظل وجود أنواع أخرى بديلة يستطيع من خلالها التعبير عن ذاته مثل السيرة الذاتية، المذكرات، واليوميات، والاعترافات، غيرها ...

لكن القراءة المتأنية لهذه المتون– موضع الدراسة– تكشف عن عدم وجود أنماط بعينها يلتزم بها الكتاب، وإنما هي تزاوج بين أنماط عدة، بعضها مستعار من الرواية ذاتها باعتبار أن النوعين متداخلان، والبعض الآخر يأخذ أنماط السرد السيرى الخالص، وثالث يزاوج بين الشكل الروائي، والشكل السيرى على نحو ما فعلت رضوى عاشور في " أطياف" وإلى جانب هذه الأنماط يوجد نمط رابع يتمثل في مجاورة أنواع أخرى سيرية مثل اليوميات والمذكرات والرحلة وغيرها ...[2]

ينهض السرد في " الحب في المنفى" على تزاوج الفعلي والمتخيل هذا التزاوج الذي جعل كثيرا من النقاد، ينظرون إلى الرواية على أنها واحدة من المرويات السيرية برغم تحفظات بهاء طاهر نفسه، ورفضه للربط بينه وبين شخصية(الصحفى) في الرواية[3].

---

[1]– عبد القادر عواد، العجائبي في الرواية العربية المعاصرة آليات السرد والتشكيل، إش: عبد القادر شرشار، رسالة دكتوراه كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2011–2012، ص24

[2]– ممدوح فراح النابي، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص163–164

[3]– نفس المرجع، ص167

المبحث الثالث: نشأة رواية السيرة الذاتية وتطورها

المطلب الأول: نشأة رواية السيرة الذاتية وتطورها عند العرب:

لقد عرف العرب فن السيرة، وأول ما عرفوه عن السيرة السيرة النبوية، فقد تناولت سيرته صلى الله عليه وسلم التأريخ لأفعاله وأقواله ومغاويه وقد ظلت السيرة عصورا يقتصر استعمالها على بيان حال الرسول صل الله عليه وسلم.

ثم تطور الاستعمال في عصور تالية، فاستعملت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة بدليل ما يذكره صاحب كشف الظنون من ظهور سير منذ القرن الرابع الهجري، كسيرة أحمد بن طولون لابن الداية(ت334هـ) وسيرة صلاح الدين لابن شداد(ت622هـ)[1].

ولقد جاء في تراثنا كثير من السير الذاتية يتوافر فيها كثير من السمات الفنية للسير الذاتية في عصرنا، ويمكن تصنيف حوافز هذه السير الذاتية كالآتي:

- التبريرية
- الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة
- التخفف من الثورة والانفعال
- تصوير الحياة المثالية
- تصوير الحياة الفكرية
- الرغبة في استرجاع الذكريات

[1]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص28

وإن كان كثير من هذه السير تفتقد وحدة البناء والإحساس بالتطور الزمني، ولا تتبع مراحل النمو والتغيير في الشخصية المترجم لها، وبالاختصار ظلت السير دون شكل تام ودون محتوى واف كامل حتى العصر الحديث[1].

سلكت العديد من الكاتبات الجزائريات طريق الكتابة الروائية سبيلا من أجل إثبات الكيان المختلف والهوية المتميزة والتأكيد على حضور الجنس النسوي في الجنس الأدبي من أجل التحرر من مختلف أشكال الإلغاء والقهر والإقصاء والاستيلاب، ويكشف المنجز للكاتبات الجزائريات على وجود تماسات عديدة وملامسات بين أسئلة السردي السيري وتجلياته في تلك التقاطعات بين شخصيات النصوص الحكائية وتجاربها الحياتية، وبين شخصيات المبدعات وسيرهن في الوجود الواقعي ويعد لجوء المرأة لكتابة السيرة الذاتية الخاصة بها مطلب ملح عن حيث الرغبة في نقل الإحساس بالذات وفي إيجاد هوية لها في عالم يراها مخلوقا ضعيفا لا كلمة لها فيه سوى خدمته والانصياع لأوامره مما جعلها تسلك دروبا وعرة تفضي بها نوع من الحرية بهدف إيصال صوتها للعالم[2].

كان خوف المرأة من الخانة التي سوف تصنف فيها كتاباتها وبالخصوص من أن تلحق بجنس السيرة الذاتية فتوجه إليها أصابع الاتهام من أول حادثة عاطفية قد ترويها أو حتى تلمح إليها فكان ظهور الرواية السيرية والتخيل الذاتي بمثابة الخلاص من الجحيم بالنسبة لها فأبدعت في هذين النوعين الأدبيين الحديثيين اللذين مالت إليهما جل الكتابات النسوية فحظيا بالحظ الأوفر أكثر من غيرهما في استقطاب النساء المبدعات اللواتي وجدن في رواية السيرة الذاتية، متنفسا لهن.

---

[1]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرج سابق، ص30

[2]– بلباشة مسيكة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية رواية " مزاج مراهقة " لـ " فضيلة الفاروق " أنموذجا، مرجع سابق، ص182

ويعود توجه المرأة الكاتبة إلى اعتماد الرواية السيرية أو التخيل الذاتي إلى عدة أسباب تتعلق بواقع الحياة التي تعيشها المرأة والظروف القهرية التي تحتم عليها التخفي وراء قناع الساردة[1].

المطلب الثاني: تطورها

وفي العصر الحديث أخذت السيرة الذاتية طريقها في التطور والنمو، وبديهي أن تكون المحاولات الأولى محدودة القيمة الأدبية، وليست بهذه الصورة من الجودة التي وصلت إليها السيرة مع تقدم الأيام في القرن العشرين، وأشهر هذه السير تلخيص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي، والخطط التوفيقية وعلم الدين لعلى مبارك، والساق على الساق لأحمد فارس الشدياق، والذي يجمع بين هذه السير أن أصحابها لم يتأثروا في كتابتها بالأدب الغربي، رغم معرفة بعضهم بهذا الأدب، وربما يكون تأثيره ضئيلا لدى البعض الآخر، لكنهم جميعا تأثروا بالتقاليد الموروثة للأدب العربي، فترى معظمهم ينهج في ترجمته الذاتية نهج تراجم العلماء التي يزخر بها تراثنا العربي، فيعنى المترجم بنفسه كالسابقين بإثبات مراحل تطوره العلمى والفكري منذ الطفولة، حتى وقت كتابة ترجمته، وقد يعن له ذكر أسرته وأصولها وما وقع له من الأحداث البارزة في حياته، ولكنها لا تختلف في جمتلها عن التراجم الذاتية التي خلفها لنا علماء العرب منذ القديم[2].

ومنذ بداية القرن العشرين ازدهر هذا الفن وتعددت صوره الأدبية كاليوميات والمذكرات والذكريات والاعترافات، والرواية التي يتخفى صاحبها في شخصية البطل(كما مر بنا في

[1]– بلباشة مسيكة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية رواية " مزاج مراهقة " لـ " فضيلة الفاروق " أنموذجا، مرجع سابق، ص183

[2]– شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص31

أديب لطه حسين وعودة الروح للحكيم وإبراهيم الكاتب المعازنى وثلاثية لا أحد في المدينة لأحمد إبراهيم الفقيه).

ونذكر من اليوميات(يوميات مصطفى عبد الرزاق، ويوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم) ومن المذكرات مذكراتي في نصف قرن لأحمد شفيق، ومذكرات محمد فريد أبو حديد ومذكراتي لعبد الرحمن الرافعي، وخليها على الله ليحي حقي، ومذكرات الشابي، وتعددت اتجاهات الكتاب في الشكل الفني فاتخذوا الشكل الروائي تارة، وأسلوب المقالة تارة أخرى وأسلوب المؤرخ تارة ثالثة، فأصبح فن السيرة لا يقتصر على معالجة أفعال شخص، تأثيره في زمنه، وتأثيره بزمنه، ولكنه أصبح يبرز الشخصية كقيمة، فكان من الضروري أن يأخذ هذا الفن من علم النفس وعلم الوراثة أشياء كثيرة ويضعها في قالب أدبي، ليأخذ– كما مر بنا– من الرواية والمسرحية أمسا كثيرا لتحليل الشخصية، ووحدة البناء والاعتماد على الحوار، وعمق الصراع النفسي ومن أشهر هذه الأعمال التي توافر فيها المقومات الفنية لهذا الفن الأدبي، والأيام لطه حسين، وزهرة العمر وسجن العمر لتوفيق الحكيم وغيرهم[1] . من روايات السيرة الذاتية التي لقت رواجا كبيرا، وأعطت دفعا كبيرا للحركة الروائية العربية وحاول بعض الكتاب النسج على منوالها[2].

وهذه الروايات هي عبارة عن سير ذاتية لأصحابها " لكن يبقى أن هؤلاء الكتاب لا يتخذون من حياتهم محورا أساسيا للرواية، ولكنهم يتخذونها متكأ أو منطلق ومعبر نحو الانطلاق من الذاتي إلى الموضوعي، أو من الخاص إلى العام، ومن هنا تخرج الرويات عن إطارها الذاتي

[1]– شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص33–34

[2]– نجاة سويسي، رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق، إشراف: يوسف غليسي، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2011، ص37

السيري، إلى إطار الرواية التخيلية بمعناها العام، ويصبح الجانب الذاتي فيها جزء من تجارب الكاتب في الحياة بشكل عام[1].

المطلب الثالث: نشأة رواية السيرة الذاتية عند الغرب

يبدوا أن السيرة الذاتية بالمفهوم الحديث لم يكن لها وجود في الأدب الغربي قبل عام 1600م، ثم ظهرت بعد ذلك، وفي فترات طويلة حتى عام 1800م، وإن كان هؤلاء الكتاب يتوخون ما يشبه لبعض السنن الأدبية في كتاباتهم، ولكن رغم ذلك لم يستطيعوا صنع جنس أدبي جديد.

وأقدم ما كتب في فن السيرة كان على يد شخصين يونانيين هما ثيوفراستوس ويلو تارك غير أنهما اهتما بالأنماط العامة أكثر من اهتمامهما بالصفة الشخصية، وكانا مهتمين بما هو شائع من الشخصيات، ولم يهتما بما يميز كل فرد بعينه، وقد ظهرت السيرة في الأدب الانجليزي بداية من عام 1579م، وكان أول هذه السير موقوفا على حياة القديسين، وكانت هذه السير تتناول الأتقياء في صورة من الوقار، وكان غرض هذه السير إظهار معجزاتهم، والأعمال الجميلة في حياة هؤلاء، ومن هذه السير ما كتبه ألفرك من سيرة أزوالد والقديس أدمون وكانت هذه الكتابات هي بداية الكتابة الجادة في فن السير والتراجم في الأدب الإنجليزي، وقد ظلت إلى القرن التاسع عشر حتى أصبحت فرعا من فروع الأدب[2].

وقد اتخذت السير الذاتية في العصور الوسطى عند الغرب صورا عدة كالمذكرات واليوميات والذكريات والاعترافات، نذكر منها مذكرات جميس ميلفل، ومذكرات روبرت كارى ومذكرات السير جميس تارنر، ومن يوميات صمويل بيتس ... وغيرها

[1]– نجاة سويسي، رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق ،مرجع سابق، ص38

[2]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص36

وهناك ترجمتان ذاتيتان كان لهما أكبر أهمية في تطور هذا الفن الأولى كتبها الفيلسوف ديفيد هوم عام 1887م والثانية كتبها جيبون عام 1796م، وترجع قيمة الأولى أنها كانت البداية للسير الأدبية التي تدفقت كتابتها تدفقا غزيرا بعد ذلك، أما الثانية فقد كان ظهورها إيذانا بوثبة جديدة في تاريخ الترجمة الذاتية يتحلى بالتقاليد والأساليب التي توخاها الكتاب الذين جعلوا من هذا الفن فنا قائما بذاته.[1]

وقد انتشرت السير الذاتية في القرن العشرين لانتشار المبادئ الرومانسية وعنايته بالفرد وأحاسيسه، واتصفت هذه السير بالجرأة والصراحة والتعري أكثر من غيرها، فنجد بعض الكتاب يكشفون عن علاقات شخصية بدون تحرج مثل جان جاك روسو الذي يعترف بالسرقة، وبعلاقات مع نساء متزوجات ...الخ[2]

ويعتبرها البعض رمزا لنشأة جنس أدبي جديد، وإن كان جورج ماي لا ينكسر وجود اعترافات سابقة لاعترافات روسو ولكنها تبقى النموذج الأول في مجال الكتابة الأوتوبيوغرافية، ومن ذلك فإن جورج ماي من الذين اعتبروا السيرة الذاتية فنا حديث النشأة[3].

وقد كثرت السير وزاد الاهتمام بها، وكان محورها غالبا هو النجاح في التجارة، كما أنها انتقلت من السيرة الذاتية الدينية إلى أنواع أخرى يقول في هذا الصدد دانيال مندلسون: " اللحظة حاسمة في تطور كتب السيرة المتعلقة بالمعاناة والخلاص من أصولها الدينية إلى قمة الانحطاط والتدنيس كما نشهد اليوم، وقعن عندما تراجع عصر الإيمان لصالح عصر العقل ".[4]

1_ شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص36

2– نفس المرجع، ص36

3– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص84

4– دانيال مندلسيون وآخرون، قضايا أدبية، نهاية الرواية وبداية السيرة الذاتية، تر: حمد العيسى، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت– لبنان، 2011، ص150

وقد علل دافيد سيسل لانتشار فن السيرة الذاتية في عصرنا بقوله لقد شهد الأربعون عاما الأخيرة تقدما كبيرا في الدراسة النفسية وطبيعة الشخصية الإنسانية والقوى التي تحركها، وتأثير عناصر الوراثة والمؤثرات الخارجية، كل هذا أصبح مفهوما لم يكن من قبل، وعلى ذلك فالكتاب أصبحوا قادرين عن ذي قبل على إعطاء تقرير كامل عن الشخصية الإنسانية[1] .

إذن أخذت الكتابة السير ذاتية تتطور في الأدب الغربي منذ القرن الثامن عشر تأثرا بالتطور العالمي الجديد، حين سوت الديمقراطية بين الناس، واختفت النظرة المقدسة للملوك، وأضحت الترجمة للجميع على حد سواء، وغدت كتابتها مربحة وتدر على صاحبها مالا وفيرا فمن استطاع أن يكتب حياته يومئذ بطريقة تبهر القراء أو تهزهم أو تبعث المتعة في نفوسهم، ضمن لنفسه ربحا جزيلا[2] .

المبحث الرابع: عناصر الرواية السير ذاتية

حاول العديد من الباحثين والدارسين البحث في العناصر الأساسية التي ينبغي توفرها في الرواية حتى يمكننا من خلالها تصنيفها ضمن عالم الرواية السير ذاتية، وقد توصلوا بذلك إلى تحديد مجموعة من الشروط الضرورية التي وجب توفرها إلزاميا في الرواية حتى يتسنى للقارئ أو الدارس أن يتعامل معها على أنها رواية سير ذاتية تعكس حياة مؤلفها، ويمكننا أن نحدد هذه العناصر الأساسية التي تبنى عليها الرواية السير ذاتية:

المطلب الأول:عنصر الميثاق

جاء مفهوم الميثاق في النقد الإنجليزي تحت مسمى " اليمين السيري" أو " القسم البيولوجرافي وهذه التسمية ترجع إلى النقاد ديزموند مكارثى، حيث يرى أن مبدع السيرة في حقيقة الأمر ما هو إلا فنان تحت سلطة يمين"، وبهذا تكون فكرة اليمين أو القسم حسب النقد

[1]– شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص37

[2]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص85–86

الإنجليزي مأخوذة من ساحة القضاء حيث يقف الحالف متعهدا أمام هيئة المحلفين بأن ما يقوله هو: " الصدق أو الحق"[1]

يعد الميثاق من بين أهم العناصر المهمة في الرواية السيرذاتية وذلك راجع لكونه يعتبر حدا فاصلا بين الأجناس الأدبية، إذ يحدد هوية النص إذا ما كان سير ذاتية، من خلال ما ورد في النص ذاته دون الاستعانة بعوامل خارجية لإثبات ذلك فوجوده يحقق التطابق بين المؤلف، والسارد، والشخصية الرئيسية، مما يضع النص ضمن جنس السير ذاتية، وتتمثل في كونه اتفاقا يعقده المؤلف مع القارئ وبموجب هذا الاتفاق يوجه القارئ، ويحدد طبيعة قراءته، ذلك أن الميثاق في الرواية يغنينا عن البحث عن بقية العناصر الأخرى التي تقوم عليها الرواية الذاتية، كون بتوفر الميثاق تتوافر معه بقية العناصر التي تتبني عليها الرواية السيرذاتية إلزاميا، كون أن الروائي يفصح من خلال هذا الميثاق الذي يعقده مع القارئ أن روايته هذه تندرج ضمن عالم الرواية السير ذاتية، مما يفرض على القارئ بطبيعة الحال التعامل معها بهذه الخصوصية فهذه الأحداث التي تحتويها تعد في واقع الأمر انعكاسا صريحا لحياة الروائي نفسه، ذلك أن: " الميثاق يقود القارئ للوصول إلى حقائق تتعلق بتاريخ شخصية واقعية يسرد لها، أما غياب هذا الاتفاق فيجعل القارئ يعيش مع تجربة خيالية يصنعها الكاتب، ويوقع القارئ في مأزق التجنيس، وضبط هوية النص[2]، يمكن لتطابق الاسم بين المؤلف، السارد الشخصية أ يتحقق بطريقتين:

على مستوى العلاقة مؤلف– سارد، بمناسبة ميثاق السيرة الذاتية ويمكن لهذا الأخير أن يأخذ شكلين:

- استعمال عناوين لا تترك أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى اسم المؤلف (قصة حياتي، سيرة ذاتية، ...الخ)

[1]– ممدوح، رواية السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص110

[2]– أبو بكر عبد الكبير، الرواية السيرذاتية وعناصرها الأساسية، مرجع سابق، ص08

- مقطع أولي للنص يتحمل فيه السارد التزامات أمام القارئ، وذلك بالتصرف مثل المؤلف، بطريقة تجعل القارئ لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف، وإن كان هذا الاسم غير وارد في النص[1]
- بطريقة جلية على مستوى الاسم الذي يأخذه السارد الشخصية في الحكي نفسه والذي هو نفس اسم المؤلف المعروض على الغلاف، ومن الضروري أن يتحقق التطابق على الأقل عن طريق إحدى هاتين الطريقتين، وفي الغالب يتم ذلك عن طريقهما معا في الوقت نفسه[2].

وتكمن أهمية الميثاق السير ذاتي في كونه عبارة عن اتفاق يعقده المؤلف مع القارئ ومن خلاله يوجه القارئ وتحدد طبيعة قراءته، فالميثاق يقود القارئ إلى التعرف على الحقائق المتعلقة بتاريخ شخصية معينة وغياب هذا الاتفاق يجعل القارئ يعيش مع تجربة خيالية من صنع الكاتب ويوقع القارئ في مأزق التجنيس وضبط هوية النص[3].

ويمكننا أن نقسم الميثاق إلى نوعين رئيسين وهما: حالة الميثاق ونقصد به ميثاق العنوان أو ميثاق التعهد، أما النوع الثاني: حالة ميثاق السيرة الذاتية[4].

المطلب الثاني:عنصر الدوافع

إن الدوافع هي عبارة عن مجموعة من الأسباب، قد تكون داخلية نفسية مرتبطة بالأديب، وقد تكون خارجية (البيئة، المجتمع، الأسرة ...) مرتبطة بالعوامل الخارجية، وبالتالي وراء كل رواية سيرة ذاتية دافع، أو بالأحرى حافز، يلح إلحاحا على صاحبها أن يدونها ويسجلها،

---

[1]– فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، مرجع سابق، ص39–40

[2]– نفس المرجع، ص40

[3]– بلباشة سكينة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية رواية " مزاج مراهقة " لـ " فضيلة الفاروق " أنموذجا، مرجع سابق، ص185

[4]– أبو بكر عبد الكبير، الرواية السيرذاتية وعناصرها الأساسية، مرجع سابق، ص09

عندما يبلغ هذا الإحساس مستوى النضج في نفسية الأديب وهذه الدوافع تختلف باختلاف الأشخاص، فكل واحد منا لديه دافع أو بالأحرى دوافع خاصة به وكما تختلف أيضا حسب النوع .

يمكن القول بأن هناك نوعين من الدوافع داخلية وخارجية، لكن كل حافز يختلف عن الآخر، فالدوافع الخارجية كما ذكرنا تتمثل في المحيط الخارجي بكل سلبياته وايجابياته، أما الدوافع الداخلية أو بالأحرى النفسية وهي نزعة الأنا، تتمثل في تلك الرغبات المبثوثة في نفسية الأديب[1].

ويذكر يحي عبد الدايم: تعني بتصور العالم الفكري للمترجم لذاته، ونفسر سمات هذا العالم وخصائصه ومقوماته، وهي تعكس ما عانوه في سبيل تثقيفهم الذاتي وفي سبيل البحث عن أسلوب ينقل كل منهم أفكاره عن طريقه، وأغلبهم صور الطريق المضنى الذي قطعوه لتثقيف أنفسهم حتى تتحقق لهم الصلة بالمجتمع عن طريق إتاحة الفرصة ليقروا ما عندهم[2].

المطلب الثالث: عنصر الصراع

يعتبر الصراع مظهر من مظاهر الحياة الشخصية للمؤلف كونه يؤدي دورا فعالا في بناء رواية السيرة الذاتية وهو من يعطيها القيمة، فرواية السير بدون صراع هي عبارة عن سرد تاريخي لحقائق معية أكل عليها الدهر وشرب.

إن الصراع هو عبارة عن الدراما الموجودة داخل رواية السيرة الذاتية، وتعني بالدراما هو ذلك الصراع الداخلي " والصورة العامة التي يتمثل فيها الصراع هي صورة الصورة بين الخير

[1]– بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا ، مرجع سابق، ص24

[2]– يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب، جامعة عين شمس، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، بيروت، لبنان، ص85

والشر وليست المشكلة دائما هي مشكلة الخير والشر المطلقين، ففي الحياة صور لا حصر لها لهذين المعنيين المطلقين ولا تكاد تفرغ الحياة كل يوم من صورة هذا الصراع سواء بين أشخاص وآخرين حول مبدأ أو بين الشخص ونفسه حول فكرة أو نزعة، وعليه فإن رواية السيرة الذاتية مرتبطة أشد الارتباط بالحياة أو بالأحرى بالواقع الفعلي للشخصيات والصراع خير برهان على ذلك[1].

المطلب الرابع:عنصر الحقيقة والخيال

إن الحقيقة والخيال هما عنصران متناقضان ومهمان في رواية السيرة الذاتية، فالخيال يلعب دورا هاما في الفصل بين الأجناس الأدبية والتمييز بين أنواعها والحرية في توظيفه هي من تصنع الفاصل بين القصة والسيرة والأديب له الحرية الكاملة في الخلق والبناء، كما له الحرية أيضا في أن يتخيل مواقف لا وجود لها في الواقع وله الحق كذلك في إضافة التيار الداخلي في أنفس الشخصيات التي يرسمها، لكن هذا الكلام لا ينطبق على رواية السيرة الذاتية، لأن أحداثها مستمدة من الواقع المعاش، ومعتمدة في ذلك على عناصر متنوعة كالرسائل والمذكرات والذكريات، فرواية السيرة الذاتية يتوجب عليها الاتصال المباشر بالواقع وأن لا تغرق في شخصية البطل وكذا شخصية الرواية وفي مقابل ذلك ينبغي على الشخصية أن تكون عاشت الأحداث فعلا، ولا ننسى أن الرواية في حد ذاتها عالم متخيل يختلف عن الواقع[2].

المطلب الخامس:عنصر الصدق والصراحة

تعتبر مسألة الصدق والصراحة في رواية السير الذاتية مسألة ضرورية وملحة فيها، فهي إذن من العناصر المهمة في بنائها وحضورهما يولد الثقة بين الملقي والمتلقي كما

[1]– بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا ، مرجع سابق، ص25–26

[2]– نفس المرجع، ص26–27

يكسب النص قيمة تاريخية واجتماعية ومرآة تعكس حياة صاحبها لأن السيرة تبحث عن حياة إنسان " فإن ضعف عنصر الصدق في السيرة لم تعد تسمى سيرة لأن الخيال قد يخرجها مخرجا جديدا ويجعلها قصة منمقة ممتعة "، ثم إن مسألة الصدق والصراحة مسألة نسبية في رواية السيرة الذاتية، فمهما كان الأديب يمتلك القدرة على الكتابة إلا أنه في الأخير يجد نفسه – بوعي أو غير وعي– يقحم ذاته، وهذا ما يبعد السيرة عن الصدق والشفافية[1].

[1]– بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا ، مرجع سابق ، ص27–28

الفصل الثاني:

دراسة فنية وموضوعية لرواية السيرة الذاتية "بلاد الصاد" عند عبد الإله إبن عرفة أنموذجا

المبحث الأول: التعريف بعبد الإله ابن عرفة:

1- مولده:

عبد الإله ابن عرفة من مواليد 1962 بمدينة سلا بالمغرب، باحث وروائي مغربي ولد عبد الإله بن عرفة بمدينة سلا عام 1962، حائز على دكتوراه في اللسانيات من جامعة السوربون بباريس هو خبير في منظمة الأسيسكو وباحث في اللسانيات والتصوف والفكر الإسلامي، أسس عبد الإله بن عرفة لما سماه بالأدب الجديد وهو مشروعه السردي العرفاني ذي المرجعية العرفانية، والتي يرى فيها مفهوم مختلف للأدب حيث أن غاياته المعرفية تكمن في إنتاج أدب مغربي يحقق تحولا في وجدان القارئ ومعرفته وسلوكه، كما فازت رواياته بجائزة القرآء الشباب للكتاب المغربي[1].

2-سيرته العلمية و الأدبية:

- مدير دولي في الثقافة
- خبير دولي مسؤول عن قسم التراث والسياسات الثقافية والتنوع الثقافي
- استناد سابق في كلية الأب بمكناس المغرب
- عضو في النادي الجراري الأدبي الرباط [2]

[1]- عبد الإله ابن عرفة، جبل قاف، حول سيرة ابن عربي الحاتمي، ط2، منشورات الاختلاف، دار الأمان، المغرب، 1434هـ/ 2013، ص264

[2]- عبد الإله ابن عرفة، حول سيرة ابن عربي الحاتمي، مرجع سابق، ص264

3-مؤلفاته

لعبد الإله ابن عرفة عدة دراسات دوليا وفي المغرب منها: كتاب باللغة الفرنسية عن نشأة المفاهيم بدار المنشورات الجامعية بباريس بالإضافة إلى مشروعه الروائي والذي يشمل لحد الآن العديد من الروايات العرفانية إضافة إلى عدد من الدراسات والتحقيقات العلمية لأمهات " كتب التراث الأندلسي " وتقديمات كتب وهي كالآتي:

- إصدار كتاب علمي حول نشأة المفاهيم في اللغات بالفرنسية عن دار النشر المنشورات الجامعية 1997 بفرنسا
- رواية " جبل قاف" دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2022-06-02 دراسة وتحقيق كتاب الشهاب موعظة لأولي الألباب لأبي أحمد جعفر سيد بونة (524- 624هـ) مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء 2006/2005
- رواية " بحر نون "، دار الأمان الرباط 2007[1]
- ابن سيد بونة وكتاب الشهاب، ضمن الموسوعة الثقافية الأندلسية الإسبانية:

Encyclopedia de la cutura andalusi

- مكتبة الأندلس: Biblioteca de la andalus
- باللغة الإسبانية مؤسسة ابن طفيل للدراسات العربية الإسبانية:

[1]- عبد الإله ابن عرفة، جبل قاف، مرجع سابق، ص264

Fundacion an. Tufay de estudieos arabes

- المرية، اسبانيا 2007
- رواية " بلاد صاد "، دار الآداب بيروت، لبنان 2009
- كتاب الشهاب لابن سيد بونة، ضمن الكتاب الجماعي بالإسبانية:

Historia del Sufismo en Andalus, Almuzara, Espna 2009

صدرت للأديب الدكتور عبد الإله بن عرفة بالطبعة الثانية من رواية " جبل قاف " سيرة ابن العربي الحانمي "، بعد أن صدرت الطبعة الأولى من الأسواق منذ مدة غير يسيرة، وقد صدرت هذه الطبعة الجديدة في نهاية شهر أبريل 2013 عن منشورات الاختلاف في الجزائر، وطرحت بالتزامن مع انطلاق معرض أبو ظبي الدولي للكتاب

وتعتبر هذه الرواية فاتحة المشروع الروائي لابن عرفة الذي بلغ لحد الآن حلقته السادسة، وأصبح يعرف لدى المتتبعين للشأن الأدبي بمدرسة الرواية العرفانية، بعدما اختط الأديب لنفسه مسارا متميزا ومتفردا تميز بعدة سمات منها لغته الأدبية الرفيعة واشتغالاته على فن السيرة الأدبية لقامات فكرية وروحية كبيرة اختار لها تسمية الرواية العرفانية أو أدب الحضور أو أدب

السفر، بمعنى الأسفار، الكتابة بالنور والاكتئاب وهي مفاهيم منحتها انطلاقا من تجربته الإبداعية[1]

المبحث الثاني: مضمون الرواية وأهم أحداثها:

ظهرت الرواية العرفانية منذ مطلع الألفية الثالثة الذي شهد أحداثا كثيرة يمكن تصنيفها تحت ما يعرف بصدام الحضارات لما تميزت به من عنف وتطرف وإرهاب، وقد ظهر هذا المشروع العرفاني الذي يضم سبع روايات من بينها رواية بلاد صاد سنة 2009، بريادة الباحث المغربي عبد الإله بن عرفة كاستجابة لحاجة فنية من جهة ذلك لأن الرواية في القرن الماضي كانت تعالج قضايا سياسية واجتماعية، فبات من الضروري أن تجه الرواية في الأفلية الثالثة إلى قضية الكتابة العرفانية أو النورانية وما يصطلح عليه بالكتابة بأحرف النور، ومصدرها الحروف المقطعة فواتح السور القرآنية النورانية وغايتها إخراج المتلقي من ظلمة التيه الفكري والجهل التاريخي، والفوضى في المفاهيم، والكتابة السردية العدمية إلى نور الوجد والعلم والكياسة والرشد

رواية بلاد صاد الصادر سنة 2009 عن دار الآداب، بيروت لبنان، وهو عمل يتناول بالسرد والتأمل والتخييل سيرة وحياة وأحوال الأمير والشاعر الصوفي أبو الحسن الششتري (

[1]– لحويشي محمد، تجليات العرفانية والمقامات الصوفية في رواية جبل قاف لـ عبد الإله ابن عرفة أنموذجا، إش: العربي عبد القادر، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2013، ص109

610- 668هـ) وهو تناول مزج بين الوقائع التاريخية وبين الأحوال والمقامات والأسفار العرفانية[1]

تهدف هذه الرواية إلى بيان كيفيات توظيف العرفان في الرواية المعاصرة والوصول إلى نتائج أدبية وفلسفية وفكرية وتجليات قيمية وجمالية ومعرفية للخطاب العرفي، وانفتاحها على آفاق مستقبلية لاسيما اتجاه الروائي " ابن عرفة " بنحو إلى استحضار أهل الشهادة والحضور، كما بين بياناته عند صدور كل رواية وإعطائه مفاتيح اللازمة للولوج إلى هذه النصوص ودراسة العرفان، فإن هذه الكتابة النورانية من حيث مصدرها وغايتها تتوخى الأخذ بين القارئ وأعطى لتخرج من ظلمة التيه الفكري والجهل إلى الحاضر والمستقبل من خلال الماضي وتحرير الإنسان من كل تبعية وانتماءات وأذكار هدامة وتحرره من نفسه

تعتمد هذه الرواية على آلية التأويل الذي يمنح القارئ قراءات متعددة ومختلفة كما يزيح عنه كثيرا من اللبس والغموض فالمعنى تمنع القراءة ومسألة وحرية للقارئ وتؤدي بع إلى الفهم والحضور، كما أن اختيار التأويل كان مناسبا من أجل معرفة مدى تجلي مستوى الطلال والتجليات العرفانية وآليات توظيفها بشكل من الأشكال ولأن الكاتب أيضا يلح على فعل القراءة والتأويل من خلال إصدار بيانات للقارئفي كل رواية، أما بخصوص الدراسات في مجال الرواية

[1]- نجلاء نجاحي، دلالة المعالم المكانية في السرد العرفاني بين التاريخي والمتخيل رواية الحواميم لعبد الإله ابن عرفة أنموذجا، ص 183

العرفانية فتمثل في كتابين نقديين الأول للروائي عبد اله ابن عرفة بعنوان جماليات ومقالات بمجلة السرد في الرواية العرفانية ورواية ذوات الالكترونية[1]

العرفان هي ظاهرة إنسانية ولقد عرف منذ القديم في الثقافة البشرية وفي تاريخها الروحي حيث حقق على الصعيد المعرفي كثيرا من التصورات حول العالم والإنسان والله، أما على الصعيد الروحي فقد خلف لنا تاريخا زخرا من فيوضات المشاعر والأحاسيس الجياشة، وتجلى ذلك في الموروث الإسلامي الكبير والزخم شعرا ونثرا، ودراسة العرفان في هذا العصر والعودة إليه ضرورة أملتها الحاجة إليه كمنهج وأسلوب للتحرير والتنوير، والهدف من دراسة العرفان هو معرفة الحقيقة حقيقة وجود الإنسان

تجربة الكتابة تقوم على مقومات أساسها الرحلة وتتأسس بفعل الكتابة والسفر العرفاني يرتقي إلى مستوى المعاينة لتجليات الإلهية عبر الخيال العرفي وهو سير الكشف والاستكشاف عن العوالم الخفية النورانية والباطن الخفي، ويكون سفرا عبر الخيال يتجلى في فكر صاحبه، وهنا ينمحي الوجود المكاني والزماني، " أي الشعور من جانب الذوات بوجودها لأن وجودها في تحققها بالفعل، ولذا كان هذا الدور دور الحضور أو الآن وهذا الواقع هو معنى الحضور"[2].

[1]– سليمة عشو، توظيف العرفان في رواية بلاد صاد، مجلة آفاق علمية، مج 13، ع1، 2021، ص386

[2]– عبد الرحمن بدوي، الزمان والوجود، ط3، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983، ص149

فالوجود هو الحضور، حضور المعارف في حالة الكتابة، لأن رؤية العالم من هذا المنظور هو اختراق الحجب، ومعرفة كينونة الأشياء ثم ربط العلاقة بين الأشياء والطبيعة[1]

وقد تكون الرحلة على شكل رؤيا أو منام، وذلك في رؤية للكون والوجود والإنسان والأشياء، كأن يرى العارف نفسه يطير أو يلحق في الهواء أو يمشي فوق الماء، في الثقافة العرفانية فيرحل العارف في هذا المعراج الخيالي لا تحكمه قوانين الزمان والمكان، لكن لا يرحل العارف إلا بعد القيام برياضات والمرور عبر امتحانات، وما يلاقي جراء ذلك من تعب، فرحلة الكشف هذه التي ينتجها العارف هي تجربة الموت والفناء، والفناء يكون لأجل البقاء[2]

لقد جاء على لسان الششتري بطل رواية " بلاد صاد ": " هنأني عبد الحق بهذا الفتح الجديد وقال لي: هلا أخبرتني عن رؤياك؟ فقلت: أي نعم. كنت في تلك الشعاب أمشي بأهلي، أتوكأ على العصا، فقال عبد الحق: إنها عيد الصاد، والعصا عين اليد، ومن العين كانت الرؤية، وبالصاد كان الكلام (ص والقرآن ذي الذكر)[3]

فعنوان رواية " بلاد " لم يأت اختياره عفويا بكل تأكيد، وعند تحليل هذا الحرف بحسب ما أطلعنا عليه في النص الروائي، يوحي لنا بأنها عبارة عن سياحة دائمة، وسفر وترحال متواصل من أجل العلم والمعرفة وإقامة المواليد النبوية الشريفة وابتعادا عن السلاطين والأمراء الأندلسيين خشية الوقوع في الفتنة، ونجد أن دلالة عنوان هذه الرواية منتشرة انتشارا قصديا،

---

[1]– سليمة عشو، توظيف العرفان في رواية بلاد صاد ، مرجع سابق، ص386

[2]– نفس المرجع، ص387

[3]– عبد الإله ابن عرفة، بلاد صاد، د.ط، دار الآداب، بيروت، د.ت، ص266

ونجد هذه السياحة/ السفر الذي يشترطه المتصوفة على من يدخل وعدم مجاورة الظالمين والحكام والولاة، أو عموديا وهي محاولة العروج إلى السماوات بالتخلية من الموبقات والتحلية بالصفات، كما أن حرف (الصاد) يتساوق مع البنى السردية للرواية التي تعمد الروائي على جعلها تبدأ بالحرف نفسه، فيتشظى هذا الحرف داخل جسد المتن الروائي مكملا بعضها البعض الآخر، كما يأتي:

صاد، صبح/ الاسم الذي أطلقه بطل الرواية على حبيبته مارية المسيحية ثم أصبحت زوجته فيما بعد

صاد: صبر أي مشقة الطاعة ومشقة تحمل البلاء التي أحاطت ببطل الرواية (الشيخ الصوفي)

صاد : صحبة+ صفوة وتعني صديقه الضرير وطلبة بطل الرواية العالم الصوفي معه إلى كل مكان من جانب، وصحبته لأستاذه ابن سبعين من جانب آخر

صاد: صوفية أي التكامل والتسامي

صاد: الصياد الذي أعطى بطل الرواية (المحارة العجيبة)

صاد: هو اسم تلك (المحارة العجيبة)[1]

[1]– عباس فاضل عبد الله الموسومي، سيميائية العنوان في الرواية العرفانية روايات عبد الإله ابن عرفة أنموذجا، ص 149

المبحث الثالث: شخصيات الرواية:

من خلال دراستنا لرواية بلاد صاد للروائي المغربي عبد الإله ابن عرفة لاحظنا وجود مجموعة من الشخصيات المحركة لهذه الرواية ولعبت دورا بارزا في إبراز أحداث الرواية وتفاعلها وترابط أحداثها، تمثلت في أمير الشاعر الفقيه، القيفر المتجرد، أبو الحسن الششتري بطل الرواية المعروف بالشيخ حسن الشستي استناد عبد الواحد يحي الصغير ابن الشيخ عبد الواحد يحي الكبير، أستاذ محمد عبد اللطيف، وعمر الفاروق، الصديق السيد فيصل الشعبي، سامي لتشارد التستري، كريم الدين البرموني، عبد الغني النابلسي، طه حسين، يعقوب المنصور الموحدي، محمد بن الشيخ ابن حفص، الشيخ أبو زكريا أبا محمد، محمد بن إسحاق، أو الحجاج يوسف بن قادس، ابن عبد الله بن أبي يحي، أسلاف عبد الله وزوجته، سفير ملك قشتالة، أبي حسن بن علي بن حسن الصدفي، أبي الحسن ابن خروف ابن علي الرندي، وأبي علي الشلوني، أبو بكر يحي المواردي، الأوروبولمي، أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم، عبد العزيز المهدوي[1]

المبحث الرابع: الأماكن التي دارت فيها أحداث الرواية

من الأماكن التي وردت في رواية بلاد صاد لعبد الإله ابن عرفة المغربي نذكر على النحو الآتي:

[1]– عبد الإله ابن عرفة، رواية بلاد صاد، بتصرف

بلاد صاد/ منزل صاد: هو اسم لبلاد الشام في اللغات اليونانية القديمة التي وصل إليها الروائي أخيرا وحاز السر الإلهي العظيم الذي مكنه من كنوز العلم والمعرفة فيما بعد[1]

بلاد صاد رمز عرفاني وهي عنوان الرواية وتمثل في المكان الذي سيصل إليه الششتري السائح في أرض الله سياحة مادية أو معنوية، وهي الإقليم يصل إليه ويكون بذلك قد تم سياحته في جميع الإقليم، وحصل على آخر سمسمة من سمسماته، فهي مدينة العلم، وأرض الإحاطة والعبودية، فبلاد صاد هي بلاد الصورة الأحمدية الجمالية وبلاد النور الأعظم في عالم الغيب والجبروت، ومن دخل هذه البلاد صار صاحب من أصحاب الأعراف الذين لهم وجه إلى كل جهة[2]

بلاد صاد أرض الله الواسعة، كما تتبعنا الششتري في سيرة القائم على المعرفة وطلبها من أماكن شتى، يرحل من الأرض والتي هي الطينة إلى بلاد صاد وهي بلاد النور والمعرفة قد تكون كمدينة أفلاطون الفاضلة، أو مكان طاهر مضيئ فيه المعرفة والعدل والأمان والسلام، كل هذا ليس مهم بقدر ذلك السير الذي كان يشكل مراحل ومنازل، من الدرجات الدنيا إلى العليا من أسفل إلى أعلى من أصغر إلى أكبر، فالوصول إلى بلاد صاد ليس سهلا، " لكن إذا أردت أن تجول في عالم السمسمة وتسافر في بلاد صاد ...ثم عليك بالصبر في مواطن الإشكال فهذا الطريق صعب "[3]

---

[1]– عبد الإله ابن عرفة، رواية بلاد صاد، بتصرف ، ص149

[2]– سليمة عشو، توظيف العرفان في رواية بلاد صاد، مرجع سابق، ص388

[3]–نفس المرجع، ص390

يقول عنها ابن سبعين في رواية بلاد صاد (إنها فعلا أرض عجيبة غريبة فصم عن الكلام إلا عن الذكر، ودجل بالكفر واغطس في بحر نون، فذلك هو الصوم الحقيقي، ثم أمسك عن الكلام فإن الصمت هو باطن الحكمة، فانظرها في كلمة الشهادة والإنسان الكامل، وقيل (الصمت حكمة قليل فاعله) فكل كلام يقال

تناول الكاتب أيضا مناطق أخرى قام بعض الشخصيات بزيارتها تمثلت في الحجاز والشام، والأندلس، حيث ذكر أن أبى الحسن هو الذي قام بزيارتها السفر إليها وهناك مرض مرضا شديدا أسفر عنه وفاته

بلاد صاد إذا هي مركز العالم في الإنسان الكامل الحامل لسر الوجود والحافظ لكل المراتب، أما السمسمة فهي الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام بعدما خلق من فضل خميرته أولا أخته النخلة، التي سماها لنا الشرع عمة، ومن فضل خميرته النخلة خلقت السمسمة، فالنخلة عين السمسمةِ، إذ درجاتهما متعادلة كما تعادلت درجات آش مع أرض مع ألف ليلة وليلة وفي هذه الأرض من العجائب والغرائب ما لا يستطيع المرء حصره[1]

تحكي هذه الرواية قصة الأمير أبي الحسن الششتري الذي هاجر من الأندلس والمغرب إلى المشرق، ليحقق حلم السفر، وفي هذه الرواية يختلط التاريخ والواقع والخيال، ولإدراك

[1]– عبد الإله ابن عرفة، بلاد صاد، ص312

الفرق لا بد للقارئ أن يسلك على أثر بطل هذه الرواية ويسيح في أقاليم الأرض ليجمع السمسمات السبع ويدخل بلاد الصاد الواسعة التي هي أعظم أرض للعبادة

على الرغم من أن هذا العمل الأدبي يستلهم التاريخ وأعلامه، إلا أنه يقدم قراءة للحاضر العربي والإسلامي، واستشراقا لمستقبلهما، من خلال الأسئلة الوجودية الكبرى حول الإنسان والخالق، الغاية من الخلق وحقيقة المعاد والخير والشر، والمعرفة والحب

الخاتمة

الخاتمة:

لكل بداية نهاية، فإن لكل بحث خاتمة ونتائج متوصل إليها، يمكن توضيحها في النقاط التالية:

- تعتبر الرواية السيرية من أرقى الأجناس الأدبية وأقدرها على امتلاك الجرأة والكشف عن الذات العربية التي ظلت مكنونة لزمن طويل
- تهتم الرواية السيرية بالمؤلف والعناصر المصاحبة للعمل الإبداع ولا تعير آية أهمية للنص باعتباره عالما مغلقا
- رواية السير هي خليط بين جنسين أدبيين (الرواية والسيرة الذاتية) ومعناها أنها تحتوي على ما هو حقيقي وواقعي وعلى ماهو متخيل أو خيالي
- إن رواية السير جنس أدبي مرن، يستطيع من خلاله التخفي وراء شخصيات مختلفة وأسماء مستعارة، وإذا اعتبرنا أن الرواية السيرية جزء من الأدب بكل أجناسه المختلفة نحو: المذكرات، اليوميات، الاعترافات، الرواية، والتاريخ، فإن هناك بطبيعة الحال احتكاك وتصادم بينها وبين باقي الأنواع الأدبية الأخرى، مما يؤدي حتما إلى الجزم بأن هناك تداخل بأن هناك تداخل وتلاحق بين رواية السير الذاتية وتلك الأجناس الأدبية السابقة الذكر
- رواية بلاد صاد لعبد الإله ابن عرفة رواية عرفانية من أهم الروايات السيرية وأشهرها قامت باستحضار قامة من مقامات العرفان الإسلامي أبي الحسن الششتري، وسرد سيرته، ونقل أخباره في حله وترحاله
- تسعى رواية بلاد صاد إلى تأسيس رواية جديدة " الرواية العرفانية " والأدب قائم على السفر، السفر الروحي التأملي
- توظيف الحروف المقطعة التي تبتدئ بها بعض السور القرآنية، وهو عمل سعى إلى خلق أدب جديد ذي مرجعية قرآنية

- توظيف الحكايات التراثية ككتاب " ألف ليلة وليلة " من خلال قصة " علي بابا والأربعون حرامي" التي عدت من القصص الشعبي، وذلك بإعادة بعث هذه القصة من جديد، بثوب جديد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع والمصادر:

1- المصادر

1. عبد الإله ابن عرفة، بلاد صاد، د.ط، دار الآداب، بيروت، د.ت
2. عبد الإله ابن عرفة، جبل قاف، حول سيرة ابن عربي الحاتمي، ط2، منشورات الاختلاف، دار الأمان، المغرب، 1434هـ/ 2013

2- المراجع

1. أبو بكر عبد الكبير، الرواية السيرذاتية وعناصرها الأساسية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
2. أحمد سيد محمد مالكوم براديري، الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1989
3. أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997
4. بوشريم هاجر، رواية السيرة الذاتية غرفة الذكريات لبشير مفتي أنموذجا
5. حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990
6. حسين خمر، فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، ط1، 2002
7. دانيال مندلسيون وآخرون، قضايا أدبية، نهاية الرواية وبداية السيرة الذاتية، تر: حمد العيسى، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت- لبنان، 2011
8. شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2015
9. عباس فاضل عبد الله الموسومي، سيميائية العنوان في الرواية العرفانية روايات عبد الإله ابن عرفة أنموذجا

10. عبد الرحمن بدوي، الزمان والوجود، ط3، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983
11. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1997
12. فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر وتق: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994
13. لوسيا نغولدمان، مقدمات في سيسيولوجية الرواية، تر: بدر الدين عردوكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1993
14. محمد معتصم، بنية السرد العربي (من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير)، العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010
15. محمد معتصم، خطاب الذات في الأدب العربي، مطبعة الأمنية، منشورات دار الأمان للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2007
16. مصطفى الصاوي الجويني، في الأدب العالمي (القصة، الرواية، السيرة)، ج3، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)
17. ممدوح فراح النابي، رواية السيرة الذاتية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2011
18. نجلاء نجاحي، دلالة المعالم المكانية في السرد العرفاني بين التاريخي والمتخيل رواية الحواميم لعبد الإله ابن عرفة أنموذجا
19. يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب، جامعة عين شمس، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، بيروت، لبنان

3- مجلات

1. بلباشة مسيكة، تجليات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية رواية " مزاج مراهقة " لـ " فضيلة الفاروق " أنموذجا، مجلة المدونة، مج05، ع01، 2017-2018

2. سليمة عشو، توظيف العرفان في رواية بلاد صاد، مجلة آفاق علمية، مج 13، ع1، 2021

3. مفقودة صالح، نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية والإنسانية قسم الأدب العربي، ع2، 2002

4- مذكرات

1. أميرة رقيق، خصوصيات الكتابة الروائية في رواية رماد الشرق لواسيني الأعرج خريف نيويورك الأخير، إش: بولنوار بوديسة، ج1، مذكرة شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد بوضياف لمسيلة، 2016-2017
2. حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية- الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا-، إش: الطيب بودربالة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434-1435هـ/2014-2015م
3. سامر صدقي محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم دراسة نقدية تحليلية، إش: عادل أبو عمشة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010
4. عبد القادر عواد، العجائبي في الرواية العربية المعاصرة آليات السرد والتشكيل، إش: عبد القادر شرشار، رسالة دكتوراه كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2011-2012
5. لحويشي محمد، تجليات العرفانية والمقامات الصوفية في رواية جبل قاف لـ عبد الإله ابن عرفة أنموذجا، إش: العربي عبد القادر، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2013

6. نجاة سويسي، رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق، إش: يوسف غليسي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2011
7. نسيمة بلعبيدي، شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس أحلام مستغانمي، مذكرة ماستر، إش: محمد العيد تاورتة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، ماي، 2011

5- المعاجم والقواميس

1. إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004
2. ابن قاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998
3. أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم ابن المنظور، لسان العرب، ج3، صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 1997
4. إسماعيل ابن أحمد الجوهري، تاج اللغة العربي الحديث، ج6، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1989

الفهرس

الفهرس

الفصل الأول: دراسة شاملة عن الرواية السيرية (السير ذاتية) 5

المبحث الأول: مفاهيم عامة الرواية، السيرة، السيرة الذاتية: 6

المطلب الأول: مفهوم الرواية: 6

المطلب الثاني: مفهوم السيرة : 11

المطلب الثالث: مفهوم السيرة الذاتية 14

المطلب الرابع: مفهوم رواية السيرة الذاتية 23

المبحث الثاني: نشأة الرواية العربية: 26

المطلب الأول: نشأة الرواية عند الغرب: 26

المطلب الثاني: نشأة الرواية عند العرب: 27

المبحث الثالث: نشأة رواية السيرة الذاتية وتطورها 30

المطلب الأول: نشأة رواية السيرة الذاتية وتطورها عند العرب: 30

المطلب الثاني: تطورها 32

المطلب الثالث: نشأة رواية السيرة الذاتية عند الغرب 34

المبحث الرابع: عناصر الرواية السير ذاتية 36

المطلب الأول:عنصر الميثاق 36

المطلب الثاني:عنصر الدوافع 38

المطلب الثالث: عنصر الصراع 39

المطلب الرابع:عنصر الحقيقة والخيال 40

المطلب الخامس:عنصر الصدق والصراحة 40

الفصل الثاني: دراسة فنية وموضوعية لرواية السيرة الذاتية "بلاد الصاد" عند عبد الإله إبن عرفة أنموذجا 42

المبحث الأول: التعريف بعبد الإله ابن عرفة: 43

المبحث الثاني: مضمون الرواية وأهم أحداثها: 46

المبحث الثالث: شخصيات الرواية: 51

المبحث الرابع: الأماكن التي دارت فيها أحداث الرواية 51

الخاتمة 55

قائمة المصادر والمراجع 58

الملخص: 65

الملخص:

تندرج الدراسة في سياق محاولة البحث عن تجليات المكون السيري في رواية " بلاد صاد " للروائي المغربي " عبد الإله ابن عرفة "

يقع البحث في فصلين يسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها في البحث، ثم قائمة مصادر ومراجع وملخصا للرواية

أما الفصل الأول فقد عرضنا فيه الرواية السيرية مفهومها نشأتها في التراث الغربي والتراث العربي القديم وفي الأدب العربي الحديث وتطورها وختمت الفصل بأهم عناصرها

وكذلك تناولت في الفصل الثاني المعنون بـ " رواية بلاد صاد " عند عبد الإله ابن عرفة أنموذجا وهو عبارة عن دراسة تطبيقية رصدت فيها بصمات الرواية السيرية والتجليات العرفانية بدءا من العنوان وصاحب الرواية عبد الإله ومضمونها، وكذا وصولا إلى الأحداث والزمان والمكان والشخصيات الفاعلة في الرواية